

الفصل السابع

مشكلات سلوكية

مقدمة

نحن جميعاً نتمنى أن يتمتع أطفالنا بأخلاق طيبة، وأن يتعلموا الفرق بين الصواب والخطأ، ولكن ذلك ليس دائماً سهلاً.

إن الطريقة التي يربى بها الطفل في سنواته الأولى لها دور مهم في تكوينه النفسي، فأسلوب التربية الذي يثير مشاعر الخوف وانعدام الأمن في مواقف التفاعل يترتب عليه تعرض الطفل لمشكلات نفسية أو اضطرابات نفسية أو تأخر في نواحي مختلفة من النمو.

إن لبعض الآباء مع أبنائهم أنماطاً من السلوك تدفعهم إلى الشعور بأنهم غير مرغوب فيهم مثل إهمال الطفل من ناحية المأكل والملبس أو انفصال الطفل عن والديه يومياً فترات ليست بالقصيرة، أو تهديده بالعقاب أو الطرد من المنزل أو كثرة التحذيرات أو السخرية ولوم الطفل أو إطلاق أسماء تهكمية عليه، أو مديح أصحاب الطفل دون الطفل أو انفعالات الأم المستمرة ومزاجها المتوتر مع الطفل، كل ذلك يؤدي إلى حدوث آثار سيئة في نفسية الطفل وسلوكه وحرمانه من إشباع الكثير من حاجاته النفسية، مما ينشئ في نفوس بعض الأطفال الرغبة في إزعاج وتعذيب وإذلال الوالدين أو من يقوم على رعايتهم بعدم طاعتهم والإذعان لوصاياهم والكذب عليهم والمماطلة معهم والكرهية والعناد والغش والزيف في التعامل.

وقد يصل الأمر بالطفل من السوء إلى العمل على الإيقاع بالوالدين وتخريب علاقاتهما بإفشاء أسرارهما والتدبير بهما من منطلق الرغبة الكامنة داخله للتنشئ بهما كرد فعل لما يراه أو يتلقاه أو يحصل عليه بالفعل من تعسفهما وعنفهما معه فيما سبق.

ولمواجهة المشكلات السلوكية عند طفلك، يجب أن تضعي في اعتبارك أنه تماماً مثلما تتوقعين من طفلك اتباع النظام دون مساءلة، يجب أيضاً أن تسمحى له بمساحة من الحرية لاتخاذ القرارات الخاصة به. فمن الضروري أن يعلم الطفل أنه يستطيع تكوين رأى، وأنه قادر على اتخاذ قرارات خاصة به، فذلك يمثل جانباً هاماً فى نمو شخصيته. وبالتالي، لابد أن يحدد الوالدان الأمور القابلة للنقاش والأمور غير القابلة للنقاش. على سبيل المثال، لن يضر السماح لطفلكما باختيار فيلم الكرتون الذى يريد مشاهدته أو اختيار الـ"تي شيرت" الذى يريده، فهذا سيعطيه شعوراً بإشباع رغبته فى الاختيار. ولكن إذا صمم طفلك على فعل شئ خطر مثل اللعب بسكين، أو إذا أراد أن يفعل شيئاً لا يناسبك وأصر عليه، مثل زيارته لجده فى وقت يكون لديك فيه الكثير من الأعمال فى البيت، فى هذه الحالة يكون القرار النهائى لك أنت.

ولا يجب أن يكون الوالدان متراخين أو حادين أكثر من اللازم، فالمبالغة فى كلتا الحالتين ستؤدى إلى نتائج غير طيبة، فإذا قوبل كل ما يريده الطفل بالرفض دائماً دون إعطائه فرصة لاتخاذ أى قرار، سيؤدى ذلك إلى عدم قدرته على اتخاذ أى قرار أو تكوين أى رأى، فتحكم الأبوين الدائم فى الطفل، يحجم شخصيته. وعلى الجانب الآخر، إذا لم يوجه الوالدان طفلهما وتركاه يفعل ما يريد بصفة دائمة؛ أيأ كان ما يريده، فستكون النتيجة طفل منفلت ليس لكلام أبويه أى تأثير عليه.

إن أفضل طريقة للتعامل مع الطفل الذى يصر على فعل شئ ترين أنه غير لائق تتضمن ثلاث خطوات: أول خطوة هى أن تقولى لطفلك بهدوء وحسم أنه يجب أن يتوقف عن ذلك السلوك، وأنت لا تريدينه أن يكرر هذا السلوك حيث إنك لا تقبلينه. ثانياً، إذا لم يتوقف الطفل عن سلوكه، ذكره أنك قد طلبت منه من قبل التوقف عما يفعله، وقولى له إنه إن لم يتوقف فى الحال فسوف

يعاقب... وإذا استمر الطفل فيما يفعل بغض النظر عما قلتيه له، فيجب أن تقومى بمعاقبته حتى لو أغضبه ذلك. ويجب أن يعرف الطفل أنك تعنين ما تقولين، وأنه لن يستطيع تحت أى ظرف من الظروف الاستمرار فى اتباع السلوك السيئ. العقاب المناسب هو حرمان الطفل من شئ يحبه، مثل مشاهدة التلفزيون، أو الذهاب إلى النادي، لكن ليس من المناسب أبداً ضرب الطفل أو سبه بألفاظ جارحة.

إننا يجب أن ندرك أن نشاط أطفالنا أمر لا بد منه، والمطلوب منا تحديد مساره وليس منعه، ولنجعل العقاب وليس العقاب هى وسيلتنا ليتعلم أبنائنا ما نريده، ولنصبر على ذلك كله؛ لأن التربية عملية صعبة طويلة مستمرة؛ لذا فإن ما قلناه وذكرناه لن يكف أن نقوم به لأسبوع، ثم نتساءل لماذا لم يأت بالنتيجة المرجوة؟ فتغيير السلوك يحتاج إلى شهور مع الإصرار على هذا التغيير.

الغيرة .. شعور طبيعي عند كل الأطفال

تقول إحدى الأمهات:

ابنتي تبلغ من العمر أربع سنوات، دائمة الشجار مع أخيها، حتى يصل الأمر في بعض الأحيان إلى العراك والاشتباك بالأيدي، مما يسبب لي الضيق الشديد؛ حيث إنني أكره ذلك. ومما يحيرني أنها هي التي تبدأ المشاجرات وإثارة المشكلات في حين أن أخاها يسعى في أغلب الأوقات إلى مساعدتها. ماذا أفعل؟

ولهذه الأم نقول:

أرجو أن تبتعدى قليلاً عن مشاحنات ابنتك مع أخيها، وتحاولي أن تصفى ذهنك منها حتى تدركي ما نقول.

إن عراك ابنتك مع أخيها وعدوانها عليه، هو سلسلة أخرى من حلقات مسلسل الغيرة الدائر في كل بيت ينعم بهؤلاء الصغار، فابنتك الكبيرة تشعر أن أخاها جاء منافساً على غير رغبتها، في وقت يبدو أنها لم تكن مستعدة فيه لاستقباله، ولم يتم تهيئتها جيداً للتعامل مع هذا المستعمر الجديد لعرشها كما تراه هي، جاء لينزلها من على عرشها (قلبك) ويخلعها من مملكتها (حضانك)، وعراكها المستمر معه ما هو إلا معركة لاستعادة ذلك الملك والعرش المستلب منها، الذي ما زالت تتصور منذ مولدها أنه لها وحدها، وتلك المعارك الجانبية ما هي إلا صورة من صور رفض هذا الواقع.

ولن نتطرق معك إلى الرفض اعترافاً به، ولكن إلى منع آثار هذا الرفض المتمثل في السلوكيات المرتبطة به.

بداية، لا لمواجهة الأمر بالضرب أو التوبيخ أو النقد، بل لابد من مواجهة الأمر بهدوء شديد، فيه تفهم ومراعاة لاحتياجاتها النفسية.

عليك بملاحظة سلوك طفلك داخل البيت وخارجه، وستلاحظين أن معاركهما وخصوصاً عدوان ابنتك يكون على أشده في البيت، أما خارجه فلا، والسبب أن بيئة البيت تذكرها بلحظات امتلاكها لك ولوالدها عندما كانت ملكة متوجة على عرشها -مملكة لها وحدها- قبل مجئ أخيها ذلك المستعمر الذى يجب إجلأؤه، أما خارج البيت فهي بعيدة عن الشواهد الزمانية والمكانية التى يمكن أن تذكرها بأيامها السابقة فى امتلاككما بلا منازع، إضافة إلى أنها فى خارج البيت تتشغل هى وأخوها بأشياء كثيرة تشتت اهتمامها وتتشغل بأحاسيس جميلة تغذيها تتمثل فى اهتمام الآخرين بها مثل الأعمام والأخوال والأصدقاء ممن تكونون بصحبتهن.

وهنا يحضرنى مشهد الأطفال فى بيئة الريف المصرية، فإن مشكلة الغيرة لا تكاد تواجههم أو تصلهم بنارها، فمنذ ميلاد الطفل ينخرط فى اهتمامات من حوله، تلك الاهتمامات التى لا تفتر أو يخبو شعاعها أبداً من اهتمامات الأخوال والأعمام... وغيرهم، وهو ما كنا نراه فى الماضى، وأصبحنا نفتقده لظروف العمل والحياة العصرية، فيولد الطفل ليجد نفسه إمبراطوراً على عرش لن يدوم له، يحصل عليه بكل قوة، وينزع منه بقوة أكبر.

ويمكن أن نستغل الفكرة نفسها، فكرة تشتيت الاهتمامات وتوسيع دائرتها كالتالى:

- حاولى اصطحاب ابنتك معك خارج البيت كلما أمكن ذلك؛ حتى تبعديها عن الجو الذى يثير غيبتها كما أوضحت لك، مرة تخصيصها بالاصطحاب، ومرة

مع أخيها لتشارك في شراء احتياجات البيت وزيارة الأهل، مع تنظيم رحلات خارجية في الحدائق والأماكن التي يُسمَح لهم فيها بالانطلاق.

• إذا فاجأتها إحدى نوبات الغضب والعدوان واجهى الأمر بهدوء شديد، فإذا كنا نحن الكبار قد أمرنا أن نواجه الغضب بتغيير وضعنا (فإذا كنا جالسين وقفنا، وإذا كنا واقفين جلسنا... وهكذا)، كما علمنا رسولنا الكريم -صلى الله عليه وسلم- فلماذا لا نساعد أبناءنا طالما أنهم لا يستطيعون ذلك بأنفسهم، فعندما تغضب ابنتك حاولي شغلها عن الحدث الذي أثار غضبها، وألهيها بشئ آخر، مثلاً قولي لها: (تعالى ساعدى ماما.. ماما ستُعِدّ فطيرة جميلة من سيساعدها؟ من سيرسم معى؟ تعالى لنغير للعروسة فستانها).

• وعلى الأب دور هام في معالجة هذا الأمر باعتباره يمثل (الضمير)، والواضع للضوابط ورمز الشريعة، فيحدثها بأسلوب هادئ عن نعمة الأخوة، قائلاً لها: (إننا أتينا به لأجلك؛ لأننا وجدناكِ وحيدة وليس هناك من يلعب معكِ، هل كنتِ تحبين أن تكونى بمفردك؟ فكرى: من سيلعب معكِ؟ من سيسابقكِ؟.. ومن ومن؟) ويذكر لها كل الأنشطة والأشياء الجميلة التى يشاركها فيها أخوها، فتحب أخاها بل وتحرص أن يشاركها فى كل شئ... وهكذا.

• ونذكرك بالدعاء والتسلح به، وألا يفتر لسانك عن قوله تعالى: "رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا" (الفرقان: ٧٤).

ونهمس فى أذنك: تحلى بالصبر والهدوء، واستعينى عليهما بالصلاة، فإن ما تشكين منه ومن إزعاجه لك هو أمر سهل وميسور، تختفى حدته مع الزمن إذا تمت معالجته بتفهم ومراعاة لاحتياجات أبنائنا النفسية.

تجاوز الغيرة.. بسلام

تقول إحدى الأمهات:

أرجو منكم إفادتي في مشكلتي مع ابنتي التي تبلغ من العمر ثمانى سنوات ألا وهي الغيرة، فهي تغار من كل الفتيات سواء أخواتها أو أقاربها أو زميلاتهن في المدرسة؟ فما هو أفضل أسلوب للقضاء على هذه المشكلة؟

ولهذه الأم نقول:

الغيرة هي ذلك الشعور بالغضب عند حصول طرف آخر على شيء، سواء مادي أو معنوي، يتصور الطفل أنه حقه، وأنه كان يجب أن يحصل عليه بدلاً منه، وهي أول ما تظهر في حياة الطفل عند قدوم طفل جديد مولود في العائلة، حيث تكون بداية شعوره أن الاهتمام الذي كان يحصل عليه والمكانة التي كان عليها هناك من ينافسه عليها أو يستحوذ على جزء منها، ومن هنا إما أن ينجح الوالدان في القضاء على هذا الشعور، أو في زيادته مع كبر السن وتداعى الأحداث في حياة الأطفال، وأول ما يزرع الغيرة في نفوس الأطفال هو الشعور بعدم المساواة.. وهو أمر قد يبدأ في الظهور مع مجئ الطفل الجديد، عندما لا يراعى الوالدان ذلك، وينتقل اهتمامهم إلى الوافد الجديد، ويجد الطفل نفسه وقد انسحبت الأضواء من حوله، وتحول كل الاهتمام من أجل إطعام وتنظيف ملابس هذا الضيف الجديد الصغير، والأم تقول لا أستطيع رعاية الطفلين معاً، والأب يقول كيف أقوم برعاية لم أفعلها من قبل، ولكن يظل الشعور بعدم المساواة -إذا لم يعالج منذ البداية- يتصاعد بين الأشقاء ويزرع الغيرة بينهم، ويكون العلاج بالمساواة في كل شيء، على النحو التالي:

• المساواة في المشتريات مثلاً، حيث يقوم بعض الآباء بعدم شراء الملابس الجديدة للطفل الثاني أو الثالث على أساس أن يلبس ملابس أخيه الأكبر، ويكون الجديد دائماً من نصيب الطفل الأول، وهذا يثير مشاعر الغيرة بشدة، خاصة أن الأطفال لا يراعون مشاعر بعضهم بعضاً، ويقوم الطفل الأكبر بإغظة إخوته بذلك، ويقدم الآباء مبررات واهية من وجهة نظر الأطفال لتبرير ذلك. وبالتالي فإن شراء ملابس متوسطة الثمن لجميع الأطفال خير من شراء ملابس غالية الثمن لطفل واحد، على أن يلبس إخوته ملابسهم القديمة الغالية، حيث إنها ما زالت متينة وتتحمل أن يستغلها إخوته... ومثال الملابس يعمم على كل المشتريات، وإذا كان هناك فارق في السن، فيجب أن يدرك الأطفال أن قيمة المشتريات واحدة، حتى ولو اختلفت طبيعة ما يشترون.

• المساواة في إظهار الحب؛ لأننا قد نميل إلى الطفل المطيع أو الطفل الهادئ أو الطفل المتفوق، ونظهر له الحب سواء بالكلام أو بالإشارات الجسدية من القبلات والأحضان وغيرها، ونعتبر ذلك شيئاً طبيعياً، ونقول أليس من الطبيعي أن نحب المطيع أو الهادئ، من الطبيعي أن نميل -أيها الأب وأيتها الأم- له قليلاً، ولكن ليس من حقك أن تظهر ذلك في تصرفاتك، يجب أن يتساوى جميع أطفالك في إظهار حبك لهم، وألا تستخدم مادة الحب كوسيلة للثواب أو العقاب، فإن الرسالة الهامة التي يجب أن تصل إلى جميع الأطفال أننا نحبكم جميعاً كما أنتم بصفاتكم وقدراتكم، وأنا حين أغضب إنما أغضب من التصرفات، ولكن الحب شيء ثابت للجميع بنفس القدر في جميع الأوقات، إن الأطفال شديدي الحساسية لهذه الرسالة؛ لأن محور اهتمامهم هو حصولهم على حب والديهم، فإذا شعروا باختلال الميزان في ذلك ثارت غيرتهم، وقد يظل أثر ذلك في نفوسهم إلى سن كبيرة لا نتصورها، قد تتخطى مراحل

الشباب إلى الشيخوخة، والبداية كانت خطأ الآباء في المساواة في إظهار الحب.

• المساواة في المدح والتشجيع والمكافأة.. فبعض الآباء يختار محوراً واحداً من حياة أطفاله، قد يكون التفوق الدراسي مثلاً، ويغدق على صاحبه بالمدح والتشجيع ويترك الأطفال الآخرين، إذا لم يكن لهم في هذا المضمار باع فسوف يعانون من الإحساس بالدونية والإهانة، ومن ثم الغيرة من أخيه هذا الذي يحصل على كل المدح والتشجيع، والآباء يرون أن ذلك شيئاً طبيعياً، بل ومحفزاً للآخرين على السير على نهج هذا الابن المحظوظ، ولا يدركون اختلاف قدرات الأطفال، وأنهم ربما لا يمكن أن يكونوا متفوقين دراسياً مثلاً، وتراهم يسألون بسذاجة هل تكافئ الجميع: المجد وغير المجد، وكأن التفوق والاجتهاد في الدراسة هما فقط سبيلاً للمكافأة، المطلوب أن يوسع الآباء دائرة التشجيع؛ لتشمل كل الأنشطة الرياضية، والثقافية، والاجتماعية، والمنزلية، وغيرها، بحيث يجد كل طفل ما يتميز فيه، ويجد الآباء ما يشجعون به الجميع، فيتساوى الجميع في التشجيع، فهذا يتفوق دراسياً، وذلك رياضياً، والآخر في أعمال البيت، وهكذا...، وبالتالي يكون لكل طفل مكانته التي يفخر ويعتز بها، فلماذا يغار من أخيه؟

• المساواة في الحقوق المنزلية، بحيث لا يمنح الطفل الأكبر سلطات تفوض له الأمر والنهي، والتحكم في تصرفات إخوته الأصغر، أو يميز الأولاد عن البنات في المعاملة والحقوق والامتيازات لمجرد الاختلاف في الجنس، هناك فرق بين أن نعوّد الأبناء على ممارسة الدور الاجتماعي المناسب لجنسهم وبين أن نفرق بينهم في الامتيازات لهذا السبب.

إن عدم المساواة وإن كان يبدو أنه السبب الرئيسى للغيرة، فإن التدليل الزائد للطفل يؤدي إلى طفل أنانى، يرفض أن يحصل غيره على شئ من المميزات التى لا يرى أحداً يستحقها غيره.

كما أن فقدان الطفل الثقة فى نفسه نتيجة توبيخه المستمر وإهانته، والمقارنة بينه وبين غيره، وعدم إعطائه الفرصة للنضج والنمو، كل ذلك يؤدي إلى طفل غيور من الآخرين الذين يستطيعون ويفعلون.

أيضاً فإن غياب الأم والأب المستمر عن أبنائهم، وعدم قضاء وقت كافٍ معهم لإضفاء الحب والحنان والدفء فى محيط الأسرة يؤدي إلى تفاقم شعور الغيرة فى هذا البيت المُقفر من الحب والحنان؛ نتيجة غياب الآباء والأمهات.

إن دراسة هذه الأسباب وتلافيها بصورة عملية هو السبيل الحقيقى لتقليل شعور الغيرة بين بناتك، وبينهن وبين أقرانهن، فانظري جيداً بموضوعية وستجدين الأسباب وعند علاجها ستزول الغيرة بإذن الله.

إبطال مفعول قنبلة الغيرة

يقول أحد الآباء:

مشكلة ابنتى التى تبلغ من العمر أربع سنوات أنها غيرة جداً، ودائماً غير سعيدة، حاولت بكل الطرق أن أوضح لها الأمور، ولكنها تريد كل شئ لها وحدها، وأن يحرم أخوها الذى يليها من كل شئ.

وأتساءل: هل الاستبداد والرغبة فى امتلاك كل شئ دون الآخرين (الأنانية والطمع إن جاز التعبير) من الأمور التى تستوجب القلق، أم أنها من الأمور

الواردة في مثل هذه السن؟ مع العلم أننا حريصون جدًا على توزيع الاهتمام بين جميع الأولاد بالتساوى. أرجو الإفادة.

ولهذا الأب نقول:

الغيرة من الأمور الشائعة بين الأطفال، خاصة في الفترة ما بين السنة الثالثة والسابعة من العمر، وهي من الأمور التي يجب الاهتمام بمعالجتها، فالغيرة لها توابع كثيرة، ومظاهر متنوعة من الغضب، والعناد، والتشاجر، والبكاء الكثير، والتبول الليلي اللاإرادي، فضلاً عن الانطواء والمقاطعة، وزيادة مشاعر الخوف، وضعف الثقة بالنفس عند الأطفال.

وبخصوص حالة ابنك، أود أن أعرض عليك بعض القضايا النفسية التي تزيد من فهم الموقف، والاقتراب الصحيح من المشكلة:

○ هناك أزمة في حياة الطفل الأكبر تسمى (وصول طفل آخر)، وتبدأ تلك الأزمة في الظهور بمجرد ولادة الأخ الأصغر؛ فالأم مشغولة عن الأكبر بالوضع والنفاس والعناية بالمولود، والأب مشغول عنه بالاطمئنان على سلامة الأم، وبالفرحة بالمولود، وجميع الأقارب والأحباب يسألون عن الطفل الجديد، ويتأملون ملامحه وصراخه في فرحة، وكل تعليقاتهم تدور حوله، وينسون الأكبر، وكل هذا يتم بتلقائية وعفوية، وبدون قصد الإساءة.

بالله عليك، بماذا تشعر لو كنت مكانه، وقد فقدت الاهتمام من الآخرين، وأصبحت مهملاً؟ إنه يشعر أنه قد فشل في الحصول على الحب والرعاية من الوالدين والآخرين، في الوقت الذي حصل فيه شقيقه على هذا الحب وهذه الرعاية، إنه يشعر بعدم الاطمئنان إلى تقدير الآخرين له، مثلما يقدرون غيره، أو أن هناك تهديداً لسعادته ولوضعه، سببها هذا الطفل الجديد، ويبدأ مسلسل الخوف، وضعف الثقة بالنفس، بل قد يتطور إلى شعوره بالقلق

والكراهية لأسرته، والميل إلى افتعال سلوك ما لجذب العناية والرعاية له، ويبدأ في إيذاء الصغير، ويودّ أن يحرمه من كل ميزة ممكنة، وقد يتشاجر معه. فما الحل؟!!

الحل يبدأ بالتمهيد لوصول الطفل الصغير، كأن تقول له: "طفل جديد، موجود في بطن أمك، هو يحبك، وحين يأتي فسوف تحبه"، وعندما يأتي الطفل الجديد، لا بد من إشعار الأكبر بأنه ما زال مركز الاهتمام والرعاية، وأنه محبوب جدًا من الجميع، ولا بد من لفت انتباهه - بصفته الأكبر والأقوى - إلى مراعاة الصغير وحبه وحمايته، ويمكن السماح له بإحضار أدواته ومستلزماته، وإحضار ملابسه، مع أخذ الاحتياطات. وعلى الكبير أن يدرك أنه لا بد أن يجعل الصغير - مثله - ممتازًا وقويًا، حتى يكبر ويلعب معه ويسليه. وإذا كان الطفل الكبير قد تجاوز الرابعة من عمره؛ فيمكن أن تقص عليه قصصًا وحكايات حول تعاون الإخوة، وصحبة الأخ لأخيه في رحلة مثيرة، وكيف أنهم كانوا يقومون بحماية بعضهم بعضًا.

واعلم أن الحاجة إلى الحب والرعاية والأمان تعتبر من الحاجات الأساسية، والمطلوب إشباعها عند الأطفال في المرحلة السنية التي تتراوح من سنتين إلى سبع سنوات، بجانب الحاجة إلى التقدير والثقة بالنفس، واللعب والمرح والانطلاق.

○ من الأسباب الأخرى للغيرة في هذه المرحلة، غيرة الطفلة من أمها، وغيرة الطفل من أبيه. كلُّ يغار من جنسه، وفي هذه المرحلة تكون طفلك متعلقة بك نفسيًا، وتريدك أن تلتفت إليها، وترى من أمها خصمًا لها، فضع ذلك في حساباتك.

والحل هو إفهام الطفلة بالتدريج، وبدون استهزاء بمشاعرها، أو تعنيف لها أنك تحب أمها؛ لأنها زوجتك، وتحبها هي؛ لأنها ابنتك، وتظل مستمرًا في هذا الاتجاه؛ حتى تصطلح مع أمها داخليًا، وتبدأ في تقليدها وتقمص شخصيتها وسلوكها، وهو المطلوب.

ونصيحتي لك - ولكل أب وأم - ألا تجعل الأطفال فوق السنتين ينامون معكما في فراش واحد، ولتكن العلاقات الزوجية بينكما بعيدًا عن الأطفال.

○ أشد أنواع الغيرة ما ينشأ عن الشعور بالنقص، مصحوبًا بالشعور بعدم إمكان التغلب عليه، كنقص في الجمال أو نقص في القدرات الحسية أو العقلية، وهذا أمر أظنه غير وارد في هذه الحالة المعروضة.

○ لقد كفيتنا الحديث عن الغيرة الناشئة من التفريق في المعاملة بين الأبناء، وهذا بابٌ شرٌّ، وفتنةٌ كبيرة بين الأولاد تمتد إلى آخر العمر، والإحساس به في الصغر يؤلّد الحقد والضغينة والكرهية في الكبر.

وختامًا، أطلب منك ما يلي:

- حاول أن تقدم للطفل الغيران دليلاً على أنك تحبه، بدلاً من عقابه أو الصراخ في وجهه.
- حاول توجيه المشاعر المكبوتة داخل أولادك ناحية الإنجاز والابتكار وتنمية القدرات الخاصة، وذلك بلفت نظر الأولاد وتشجيعهم على ممارسة الهوايات، كالرسم والتلوين واللعب بالصلصال والأشغال اليدوية واستخدام خامات البيئة.
- اشطب من قاموسك ألفاظ الاستبداد والرغبة في الاستحواذ والطمع والأنانية؛ حتى تستطيع التفاعل مع ابنتك بدون قلق، فهي نفسها لا تعي هذه الكلمات وتتعامل مع الجميع بتلقائية.

- تقبل بصبرٍ وسعة صدر سلوك أبنائك، ومشاجراتهم المستمرة، واعلم أنهم قد يعطّلونك عن أمور هامة وعاجلة، وقد يحرمونك من الراحة والاسترخاء والاستمتاع بالحياة الخاصة؛ فأنت أبوهم، ومن لهم - بعد الله - غيرك؟!!

العناد والزعامة... إشارة نجابة

تقول إحدى الأمهات:

كيف أتعامل مع طفلي (سنة وثمانية أشهر) إذا كان صعب المراس وكثير البكاء والطلبات، ويحب أن تسير الأمور على هواه حتى فيما يتعلق بما يلبسه، بالرغم من أنني أنا ووالده اتبعنا كثيراً من الطرق، ولكن دون جدوى؟ وهو يعيش في جو أسرى هادئ، وفرنا له فيه الكثير مما يبنى شخصيته وعقله من الألعاب، حتى إننا نلعب معه ونشاركه تخيلاته. أرجو إرشادي، مع العلم بأنني حامل في الشهر السادس.

ولهذه الأم نقول:

تختلف أساليب التربية بين الأطفال تبعاً لطبيعة الطفل التي تختلف بين الأطفال باختلاف بيئاتهم وسنوات حياتهم.

إن طفلك يتصرف بطريقة تفوق سنه وبشكل جيد، ورغم ما في ذلك من إزعاج فإنه مؤشر جيد على مدى ذكائه، ونزعه المبكرة إلى الاستقلال وحب القيادة. فالقيادة كلمة تشمل كل معاني السيطرة والتحكم في الشيء، سواء كان نشاطاً حياتياً أو سلوكاً إنسانياً، مثل رعاية الوالد لأولاده.

ولكن السؤال: إلى أى مدى يمكن أن نسمح للطفل بممارسة هذه النزعة؟

هناك أطفال تمتاز شخصيتهم بالقوة والحزم، وكأنهم يحملون داخلهم نواة لزعيم، يبدؤونها بقيادة أطفال فى نفس العمر أو أطفال أصغر منهم عمراً، وقد يمتد ذلك إلى محاولة قيادة الأكبر، كما يحاول صغيركما معكما.

إن ما يفعله طفلكما يشاركه فيه معظم الأطفال، ولكن كيف يمكن لنا أن نحد من هذا النمط للقيادة فى حياتنا؟ والأصح: كيف يمكن أن نوجه هذه القيادة؟

إن ما يمر به طفلكما طبيعة مرحلة فى عمره، وهذه المرحلة تعبّر عن الاستقلال وإثبات الذات التى أسماها أحد علماء النفس "المراهقة الأولى"؛ فالطفل حين يُولد يكون متحدًا مع والدته، معتمدًا عليها فى كل شئونه، ولكنه ومع تقدمه فى العمر يكتشف أنه قادر على فعل شئ بشكل مستقل وناجح، وهو حين يكتشف هذا يسعى إلى اختبار قدرته الجديدة بالرفض والعناد؛ لا لشئ إلا لأنه يدرك ما لا يريد أكثر من إدراكه لما يريد.

إنها مرحلة توضع فيها نواة بناء الثقة فى النفس وتحمل المسؤولية، وواجبنا توجيهها، ولكن السؤال: كيف نحاول توجيه هذه النزعة القيادية؟

بالرفض؟ لا، بالصمت؟ لا، بالتغافل؟ لا، وكذلك غيرها من التصرفات السلبية التى تزيد من المشكلة، وقد تفتح لنا أبوابًا لمشاكل أخرى نحن فى غنى عنها. المطلوب الحكمة، والتريث، والصبر فى حل هذه الأمور القيادية.

دعنى أوضح لك أمرًا فى غاية الأهمية: بداية أشيد بوعيكما بأهمية توفير الجو المناسب للطفل، غير المشحون بالمشاجرات الأسرية، إضافة إلى تأمين حاجات طفلكما النفسية والمادية الداعمة لتنمية قدراته. ولكننى هنا أتوقف معك عند قولك "وَقَرْنَا لَهُ.." لأوضح لك شيئًا فى غاية الأهمية.. رغم تشابه احتياجات الأطفال فى نفس المرحلة، تظل لكل طفل خصوصيته التى لا يدركها سوى

الوالدين من إنصاتهم لطفلهما ومتابعتهما له، وهذا واضح في حالة طفلكما، فأنتم رغم توفير كل الإمكانيات له، لكنه على طبعه من الرفض والعناد.. إن هذا لا يعنى سوءاً في التربية، ولكنها علامة أخرى على أن المعاملة التي يتلقاها الطفل ليست مناسبة له.. إنه يرسل لكما رسالة بأن ما تقدمانه من تربية واهتمام ليس مناسباً له الآن، وأن بناء الشخصية من خلال توفير الألعاب ليس كل شيء، وكأنه يقول لكما: "عليكما تغيير الأسلوب معي، وتفهم مطالبى الطفولية أكثر"، فالاستمرار في توفير ما تعتقدان أنه يحتاجه -من وجهة نظركما- لن يكون إلا عملية هروب من الواقع الحالى (اللحظى)، بينما سيعود إلى بكائه ليستمتع بانتصاره حينما تخضعون لإلحاحه معلناً أنه موجود، وأنه يملك زمام القيادة.

واعلمى أن عدم تلبية كل رغبات الطفل ليست مسألة قهر وعناد تجاهه، ولكنها أيضاً من السلوكيات التربوية التي يجب أن يتخذها المربون في تربية الأطفال على أن يمارسوها بحكمة.

وأخيراً.. تذكرى أن طفلك وعناده عبارة عن علامة ذكاء، وعليك مراعاته واستغلال مواهبه لتنمية شخصيته.

ماذا وراء العصبية والعناد؟

تقول إحدى الأمهات:

ابنى يبلغ من العمر خمسة أعوام ونصف، عندما كان عمره عاماً واحداً كنت أنا ووالده نعمل كثيراً، وأحياناً في العطلات، وكانت ترعى ابنى جدته، وكانت تعطيه بعض الحرية كمشاهدة التلفزيون.

ابنى لا يسمع كلام أحد، وهو غاضب طوال الوقت، ويضايق أخاه الأصغر منه الذى يبلغ عمره عام، لا يحترمنى أنا ووالده؛ فينادينا بأسمائنا مباشرة، وعندما نخرج لنتسوق يريد أن يشتري كل شئ، وعندما نقول له: "لا" فإنه يصرخ.

فى المدرسة يقول عنه مدرسه إنه متفوق ومؤدب (على عكس البيت). عندما يكون هادئاً يقوم بتقبيلى، وأنا أحاول جاهدة تهدئته، وأن أشعره بحبى له. أريد مساعدته، فماذا أفعل؟

ولهذه الأم نقول:

إن ما يصدر من ابنك من سلوكيات غير مرغوب فيها من عصبية وحدة طباع، وقذفكم بالأشياء، وصعوبة التعامل معه، وسبكم، وضربه لأخيه، وصراخه، وخطبه الأشياء، وعدم احترامه لكم... إلى آخر ما ورد من شكاوى فى رسالتك يرجع إلى افتقاده لك ولوالده، افتقاده لجو أسرى ينشأ فيه، افتقاده للألم التى تحتضن وترعى وتلعب وتمرح وتداول وتنقاش وتتفقد أحوال أبنائها.

أنا لا أدري ما ظروفك أو ما طبيعة الحياة التى تعيشينها، والتى تضطرك أن تتركى ولدك مع جدته ليل نهار، وبعض العطلات الأسبوعية أيضاً، وتجعل ابنك يشاهد التلفزيون لفترة زمنية طويلة (وربما يكون هذا أهون الأمور التى تفعلها معه فى أثناء غيابك)، وقد فسرت أنت هذه الفعلة على أنها تمنح ابنك مزيداً من الحرية، وهذا غير صحيح؛ فهى تريد أن تلهيه عنها أو تشغله بدلاً من وجع الدماغ الذى يمكن أن يسببه لها، وإذا افترضنا جدلاً أن هذا هو اعتقادها - وهو أن تجعل ابنك يشاهد التلفزيون فترة طويلة كنوع من ممارسة الحرية- فهذا أدهى وأمر؛ لأن كل الأبحاث والدراسات أثبتت التأثير السلبي على الطفل عندما يُترك لمشاهدة التلفزيون مدة تزيد عن ساعة يومياً بدون رقيب.

سيدتي، تحملى كلماتي الناقدة والتي ربما تكون لاذعة، ولا أستطيع أن أمنع نفسي من قولها. فأنا لا أدري إذا كنت مشغولة إلى هذه الدرجة ولا تستطيعين العناية بأبنائك، أو تكون رعايتهم -على أقل تقدير- تحت إشرافك وعلى مرأى ومسمع منك، إذا كنت غير مستعدة لهذه الرعاية فما الذى جعلك تقدمين أنت وزوجك على إنجابهم؟ وإذا كان الأمر جاء بقدر من الله دون ترتيب له، فعليك إذن أن تتحملى أنت وزوجك أمر رعاية هذه الأسرة، وأن تخلقا الوقت لتكوني بجوار طفليك اللذين خرجا للحياة لا ليتركنا لجديتهما؛ بل ليجدا أباً وأما فرحين مستعدين لقدمهم، يرحبان بهما قولاً وفعلاً.

إن طفليك يحتاجان منك الكثير: فإذا استيقظا من نومهما وجداك بابتسامة دافئة تستقبلين معهما يوماً جميلاً جديداً، وإذا استعدا للذهاب إلى مدرستهما وجداً أمّاً تودعهما بابتسامة رقيقة وحضن دافئ، ويحتاجان إذا عادا أن يجدا أمّاً تشاق لهما وتستمع لما يرويانه عليها من أحداث بالمدرسة، وتبادلها النقاش والحوار، وتبادلها حباً بحب وعطفاً بعطف، وتلعب معهما، وتساعدهما إذا تعثرا فى شئ، وتنتزعه معهما فى عطلات آخر الأسبوع، وتفهم مشاعرهما، وتلبى لهما احتياجاتهما، وتعلمهما الصواب من الخطأ، ويشاركك والدهما فى كل ما سبق أو بعضه.. وأنا حين أطلب منك ذلك فلا يعنى أننى أطلب منك أن تكرسى كل دقيقة من عمرك لولديك؛ بل كل ما أطلبه أن تجدى وقتاً لأبنائك لرعايتهم، وأن يجدوك عندما يحتاجونك.

وثقى يا سيدتى أنه إذا استمر الحال بكم هكذا فإنك ستجدين ابنك الذى تستكين منه عما قريب شاكياً متمرداً عنيداً عصبياً جاحداً لا يعرف ما معنى البر، وكيف له أن يعرف هذا وهو أمر لم يجربه، ولم يربّ عليه، ولم يبره أبواه حتى يبرهما، بل إن لديه استعداداً عالياً للإصابة باضطرابات نفسية شديدة قد بدأت

بوادرها بالسلوكيات التي تشتكين منها، ولن يقف الأمر عند هذا الحد، بل سيكون له عواقب وخيمة إذا تزوج هذا الشاب وأنجب بدوره أولادًا، فسوف يتعامل معهم بنفس الطريقة إن لم يكن أسوأ منها، إنكما لا تخطئان في حق ابنكما فحسب، بل في حق أجيال قادمة.

أسمعك تقولين: "ولماذا لم يحدث كل هذا لأخيه أيضًا؟"، الإجابة بمنتهى البساطة أن كلاً منهما كانت له استجابته الخاصة تجاه أسلوبكما في التربية، وهذا ما يعرف بالفروق الفردية، وثقى تمامًا أن ابنك الآخر إذا كان قد عومل بنفس طريقة معاملة أخيه فإنه يحمل بذور هذه الاضطرابات، لكنها ربما لم تظهر بعد، أو أنها ظاهرة، ولكن بشكل آخر لم تنتبها له أنتِ وزوجك بعد.

الوقت لم يفت، وعليك بتدارك الأمر وإصلاحه، وأوله أن تمنحى ولديكِ وقتًا وحبًا واهتمامًا، وثقى أن ذلك وحده كفيل بأن يعدل كثيرًا من السلوكيات التي ذكرتها، وإذا تبقى منها شيء فاجتهدى مع الوقت حتى تقضى تمامًا على جذور هذه المشكلة التي كنتِ أنتِ السبب فيها.

ماذا تفعل في مواجهة العناد؟

تقول إحدى الأمهات:

ابنتى التي تبلغ من العمر ٦ سنوات، عنيدة جدًا لدرجة أنها لا تسمع إرشاداتنا، كما أنها ذكية جدًا ومتفوقة في دراستها وأنيابة وتصدر منها أفعال وتصرفات أكبر من سنّها لدرجة تنسبنا أنها طفلة، وهى تحب السيطرة على زميلاتها وأختها حتى أنهم يخافون منها. أرجو أن تفيدونى بالأسلوب السليم لتقويم سلوكها؛ حيث إنها أصبحت تشكل لى إحراجًا شديدًا فى كل مكان.

ونقول لهذه الأم:

نقدّر تمامًا ما تمرّين به من تجربة غير سارة في التعامل مع مثل هذه المشكلة، وأنصحك بتهيئة الجو المناسب لعلاج المشكلة، وسأبدأ بالأشياء التي يجب ألا تحدث أو ما لا يجب فعله، وذلك عن طريق مناقشة هذه المشكلة مع والد الطفلة، والاتفاق سويًا على خطة وسياسة واحدة في التعامل معها، نتلخص فيما يلي:

- عدم تعارض أوامر أو نواهي كل منكما للطفلة.
- عدم العناد مع الطفلة، أو بمعنى أوضح عدم التعامل معها بنديّة، حتى لو كانت تصرفاتها تكبر سنّها.
- لا تكثر من التعليق على تصرفاتها (بأن هذا يليق وهذا لا يليق، وهذا يصح وهذا لا يصح)، والإقلال من إصدار الأوامر والنواهي، ولكن في حالة إصدار أمر ما فلابد وأن تواجه الطفلة بالأمر، بمعنى ألا تكون الطفلة في مكان وأنت بمكان آخر وتصدرين لها الأمر، بل لابد وأن تكون واقفة أمامك، وأن يكون الأمر واحدًا غير متعدد فلا يطلب من الطفلة أكثر من أمر أو أمرين في المرة الواحدة، كما لابد أن يكون الأمر واضحًا هادئًا حازمًا مفهومًا لدى الطفلة وتستطيع القيام به.
- التغاضي عن بعض أخطائها، فإذا لم تترك الطفلة أنك ترين ما فعلت من خطأ فلا تعلّق على هذا الخطأ، وتظاهري بعدم رؤيتك لها، أما إذا أدركت وعرفت أنك قد رأيتها فيمكن أن يكون النهي بنظرة حادة توضح مدى الاستياء مما فعلت.
- لا تجعلى الطفلة تحس بأنك أنت ووالدها لا حول لكما ولا قوة أمام تصرفاتها، بل يجب أن تحس منكما بالقوة والحزم وفي نفس الوقت بالحب

والحنان، فالطفل العنيد لديه الإحساس بأنه يستطيع أن يهزم الجميع بتصرفاته، وأنه لا يوقفه أحد عند حدّ.

أما ما يجب فعله:

○ دائماً أوصي الآباء بإيجاد علاقة إيجابية مع الأبناء؛ لأن هذا هو الأساس في التربية السوية السليمة، لذا سأكرر أنه يجب إزالة الفجوات بينكما وبين طفلة عن طريق اللعب معها ومع أختها، وتنظيم الرحلات والتنزه معها، وإفراد وقت خاص لكل طفلة للحديث معها عن أمورها الخاصة، كأن تخرجي مع كل منهما بالتناوب للتسوق مثلاً، ولا تتخيلي مدى تأثير ذلك على الأبناء بصفة عامة وعلى حالة ابنتك بصفة خاصة، فنحن نحاول أن نربي أبنائنا على أن الأسرة هي كيان متماسك يشد بعضه بعضاً، وهذا شيء رائع لا بد أن نتمسك به، ولكن في نفس الوقت لا بد أن يدرك كل طفل أن له كيان منفرد وشخصية يُهتمُّ بها على حدة، وهذه اللقاءات الخاصة تحقق هذا الغرض. كما أن هذا الحديث الخاص مع ابنتك سيغير كثيراً من سلوكياتها، واحذري أن يكون الحديث عبارة عن درس في الأخلاق أو ما شابه ذلك، بل دعيها تنطلق في الحديث لتخرجي ما لديها، ولا تعلقي على ما تقول بأنه صحيح أو خطأ، بل تجاوبي معها، ولكن إذا كان كلامها ينم عن أن هناك ما يدعو أو ما يحتاج إلى تقويم فعليك فقط تدوين ذلك بعد هذا اللقاء، ثم حاولي تقويمه في مواقفه الطبيعية فيما بعد.

○ اهتمي بالتركيز على الجوانب الإيجابية في ابنتك، وأنا على يقين من أنك ستجدين الكثير منها لو أمعنتِ النظر في تصرفاتها، مع محاولة إثابة الطفلة على مميزاتها، والأفضل أن يكون معظم التعزيز معنوياً لا مادياً.

- من الضروري أن يسند للطفلة بعض الأعمال المنزلية المحددة، كأن تكون مسئولة عن ترتيب سريرها وسرير أختها الصغيرة، أو تجفيف الأطباق بعد غسلها، أو شراء بعض المستلزمات البسيطة التي يحتاجها البيت، وكذلك لابد أن تُسند بعض الأعمال لكل فرد في الأسرة ليقوم بها.

وأما عن علاج الأنانية:

- يمكنك أنتِ ووالد الطفلة أن تبرزاً قيمة الإيثار في حديث تسمعه الطفلة دون أن يوجّه مباشرة لها.
- كما يمكنك مع والدها أيضاً تأليف سيناريو أو مشهد يبين أن أحدهما تنازل للآخر عن شيء يحبه أو أنه يمكنه أن يضحي بشيء ليسعد الآخرين، وبالطبع يجد الثناء من الطرف الآخر والتقدير لهذا الإيثار، وعليكما أيضاً تعزيز أي موقف يصدر من ابنتيكما يدل على الإيثار أو الاهتمام بالآخرين، وهذا من شأنه أن يوضح للطفلة أن الإيثار محل تقدير واحترام وحب من الجميع.
- يمكن أن تحكى بعض القصص للطفلة تدل على التضحية والإيثار من تراثنا الإسلامى، فهو ملئ بمثل هذه النماذج، وهذا من شأنه أن يساعد الطفلة على التخلص من الأنانية.

إذا اتبعنا ما سبق بدقة وحزم، فإن الطفلة ستستجيب وينسحب ذلك على حب السيطرة على أختها وزميلاتها، كما لابد أن يوضع فى الاعتبار أن صفات الطفلة تحمل جانباً إيجابياً، فهي تتمتع بسمات الشخصية القيادية، ومن واجبنا عدم إحباط هذه القدرات، وإنما يجب توجيهها الاتجاه الصحيح، فيمكن مثلاً أن نُسند إليها مسئولية تنظيم رحلة للأسرة تحت إشرافكما، ويكون هذا الأمر بالتناوب بين كل أفراد الأسرة حتى الأخت الصغرى، فيسند إليها ما تستطيع

عمله، وفي أثناء قيامها بهذه المسؤولية يمكن أن ندرّبها على كيفية القيادة الصحيحة، ومما يساعد على تصحيح مفهومها عن القيادة ما ستلمسه بطريقة عملية منكما، حين يتم التناوب بينكما في تنظيم هذه الرحلات.

الضرب.. هل يعالج عناد طفلك؟

تقول إحدى الأمهات:

ابنى فى الخامسة من عمره ذكى جداً، لكنه عنيد ولحوج، مشكلتى أننى أضربه؛ وذلك لأننى أصل معه إلى طريق مسدود، وعندما أضربه أفقد السيطرة على نفسه، وقد راقبت نفسى لمدة ثلاثة أسابيع دون ضرب فزاد عناده وزاد عنادى وتعصبى عليه.

أرجو إفادتى؛ لأن ابنى انعكست عليه عصبيتى فأصبح عصبياً جداً مثلى، فما الطريقة التى أتبعها معه ليطيعنى؟ أتمنى إعطائى نصائح عامة للتعامل معه؛ لأن أخته تقلده فى كل شئ.

ولهذه الأم نقول:

اطمئنى فإن هناك حلاً لهذه المشكلة، خاصة أن ابنك لا يزال فى الخامسة من عمره، عليك فهم المشكلة واستيعاب طريقة الحل، وتطبيقها بالشكل المناسب. بداية، لا أنصحك باستعمال الضرب؛ لأنه لن يحقق لك شيئاً مفيداً فى تربية هذا الطفل، ويمكنك أن تحسنى تربيته بالشكل المناسب دون اللجوء إلى الضرب. هناك شئ من الصراع على السلطة بينك وبين طفلك، نعم ولا تستغربى من هذا، فهو يريد أن يعرف هل كلمته أم كلمتك هى التى ستسير فى البيت. ومن

المؤكد أنه لا يحاول نفس الشيء في مدرسته؛ لأنه يعلم علم اليقين أن المعلمة هي صاحبة الكلمة في المدرسة، وربما هو ليس على نفس الثقة معك في البيت.

وربما يكون الانهيار العصبى الذى أصبت به منذ عامين، قد أضعف شيئاً من ثقتك بنفسك أمام التعامل مع المشكلات ومنها مشكلات سلوك طفلك هذا، وهو يعرف هذا ويشعر به، ولا يصدر هذا عن سوء في شخصيته، ولكن الله تعالى وضع فيه آلية لاستمراره في الحياة، وهى إن ضعف أمامه الشخص الذى من المفروض فيه رعايته فإنه فى هذه الحال يحاول أن يمتلك بيده زمام أمور حياته من أجل الحفاظ على نفسه.

لذلك حاولى اتباع الخطوات التالية:

- حاولى أن تضعى حدوداً وضوابط داخل البيت، كأن يتم تحديد وقت نوم هذا الطفل الساعة الثامنة مثلاً.
- أخبريه بأنه من الآن فصاعداً عليه أن يستعد للنوم ليكون فى سريره فى تمام الساعة الثامنة.
- يجب أن تتفقى مع زوجك على ذلك.
- يجب أن يشعر الطفل -وكذلك بقية الأطفال- بأن قاعدة وقت النوم هذه قد وُضِعَتْ لتطبق دون تهاون، ولا يمكن استثناءها إلا فى عطلة نهاية الأسبوع أو العطلات المدرسية.
- كلما غادر الطفل سريره بعد وضعه فيه، فما عليك إلا إعادته لسريره، ليتأكد من عزمك على تنفيذ الأمر، بحزم ولكن من دون عنف، وإنما بكثير من المحبة والحنان، ولا مجال للمساومة على كسر القاعدة.
- استمرى فى تطبيق الأمر حتى ينضبط الطفل، ويصبح الأمر عنده عادة، وسيحدث هذا فلا تقلقى أو تشكى من هذا أبداً، فالمسألة تحتاج لبعض الصبر.

- لا تبدئي بتطبيق كل هذا حتى تكوني مستعدة وقادرة على تطبيقه كاملاً، فإذا كنتِ متعبة الآن فيمكنك تأجيل الأمر حتى تكوني أنتِ وزوجك في حالة راحة واستعداد للتطبيق؛ فالأمر قد يكون صعباً في البداية؛ لأن الطفل لم يعتد مثل هذا الحزم منكما.
- بعد انضباط الطفل في موضوع النوم هذا ستلاحظين تغيراً كبيراً في موقفه منك، حيث سيبدأ يشعر بأنك أنتِ سيدة البيت وصاحبة الكلمة، كما يشعر أمام المعلمة في المدرسة.
- حاولي أن تلتزمي بنفس الحزم في الأمور الأخرى التي تريدينها من طفلك، طالما أنك تعلمين أن الأمر لمصلحته وسلامته.
- تمسكي برأيك ولا تترددى ولا تتراجعى أو تستسلمى لطلباته التي لا توافقين عليها.
- أعطيه الكثير من الانتباه والرعاية عندما ينفذ ويطبق المطلوب منه، أى عندما يكون سلوكه حسناً.
- طبقى نفس الأمر مع بقية الأطفال بالتعاون مع زوجك.
- استعيني بكتاب لتربية الأطفال، حيث تجد فيه تفاصيل كثيرة مفيدة لك في هذا المجال.

العند.. الحل السحري في القصص

يقول أحد الآباء:

أنا والد لطفلتين: الكبرى عمرها عامان وثمانية شهور، والأخرى عمرها سنة واحدة، مشكلتنا مع الكبرى أنها عنيدة جداً، وعندما تذهب لبيت جدتها فإنها كثيراً ما تضرب أبناء خالاتها حتى لو كانوا يكبرونها سناً، ولا تستطيع جسديتها

ردعها، أرجو منكم إرشادى لكيفية التعامل معها وكيفية تقويمها، علماً بأننى أحياناً أضربها بسبب شقاوتها، ولكنها لا ترتدع، وهى محبوبة من الجميع برغم هذه الشقاوة، وأريد أن أعرف متى نبدأ فى قراءة القصص لها؟ وهل ترشحون عناوين معينة؟ وهل لسفري المتكرر والذى يمتد أحياناً لشهر أثر فى سلوكها؟ وهل يدعو ذلك للقلق؟ وما هى نصائحكم لى كوالد بدون خبرة؟

ولهذا الأب نقول:

كم أسعدتني جملة: " كوالد بدون خبرة" فالقليل من الرجال يعترف بهذا، ويأخذ الكبر بادعاء علم ليس لديه، ويكون الأبناء ضحية للجهل والكبر وما أشنعهما من آفتين.

العناد سلوك متوقع من معظم الأبناء، خصوصاً إذا كانوا يتمتعون بالذكاء، أو ولدوا بقدرات مميزة كالصلابة وقوة الشخصية، فالشخصية القوية تتميز بأنها محددة تعرف بالضبط ما تريد، ولديها إصرار قوى للوصول إلى ما تريد.

نحن جميعاً -كآباء- نتمنى أن يتمتع أبنائنا بشخصية قوية، ولكن هذه الشخصية لها محاذير فى التعامل معها؛ لأنها تُخلق باستعداد وراثى لأن تتحول هذه الصلابة إلى سلوك العناد المزعج إذا وُجِهَتْ بحوائط صد أو معوقات من عدم صبر وتفهم من الوالدين فى مراحل التربية الأولى، وبالتالي لا يمكن التكهن بالأسباب التى كانت سبباً فى نشأة العناد لدى طفلك، فأحياناً يكون العناد نتيجة معاملة هذا الطفل الذكى ذى الشخصية القوية بعدم تقدير لتفرد شخصيته أو احترام ذكائه بعصبية وعدم صبر، أو معاملته بتدليل بتلبية كل رغباته وإغراقه بالحب والعطف الزائد مما يولد عنده إحساساً بأنه يملك كل شئ، وأنه يستطيع أن يملك كل ما يريد، ولا تظهر عاقبة ومساوئ هذا النوع من التربية إلا عندما يكبر الطفل.

إذن ما هو العلاج ؟

من الطريف أيها الأب أنك حملت الحل فى الجزء الثانى من سؤالك عندما سألت عن "الوقت الملائم لسرد القصص لطفلتك، والعناوين التى يفضل البدء بها فى هذا السن"، لذا:

○ عليك أن تختار القصص ذات الطابع التربوى، وتبتعد فى هذه المرحلة عن القصص ذات الطابع الخيالى، والتى يعتمد أبطالها فى حل مشاكلهم على الحلول الخيالية، مثل قصة سندريلا، وفى نفس الوقت تركز على القصص ذات الطابع التهذيبي.

○ ركز على قصص الطيور والحيوانات، وخصوصًا التى تحكى عن علاقة الحيوان أو الطائر بالأم، وكيف أن الحيوان الذى حدث له كذا وكذا عندما لم يسمع كلام أمه، وحكاية البطة التى تاهت عندما عصت أمر والدتها بابتعادها عن البيت، وظلت تبكى عندما وجدت نفسها وحيدة فى الغابة، وعندما وجدت والدتها اعتذرت لها وطلبت منها أن تسامحها بقولها: "أنا آسفة اتركونى أحاول مرة ثانية"، ومهم جدًا أن تنتهى كل حكاية بهذه الجملة: "اتركونى أحاول مرة ثانية"، وذلك لسببين:

• أن التغيير وتعديل السلوك غير المرغوب واستبداله بالمرغوب طبيعى، ولا يأتى بين يوم وليلة، بل يحتاج إلى محاولة وعدم يأس من تكرار المحاولة مرة وثانية وثالثة، فهذه هى سنة الله فى خلقه، وبهذا لا تسهم فى تعديل سلوكها الحالى فقط، وإنما أيضًا فى إرساء وضع بدايات لتكوين الضمير لديها.

• فض أى التباس أو خلط قد يتسرب إلى نفس الطفلة، فالأطفال عادةً - وخصوصًا فى هذه السن المبكرة - لا يفرقون بين شخصية الآباء وردود

أفعالهم -وهو ضربك لها في بعض الأحيان- وبين عاطفتك وحبك لها، وهذا سيوصل لها رسالة "أن بابا وماما سيسامحوننى ويعطوننى فرصة ثانية لأحاول من جديد إذا اعترفت بخطئى و لم أكرره"، وسوف يعمل هذا على مد جسور الحب والتفاهم بينكم وبين ابنتكم.

○ لا تظن أن هذا الأمر سيكون مجهذا على الإطلاق، يمكنك بمنتهى البساطة أن تؤلف كل يوم حكاية من أحداث اليوم المنتهى تتضمن فيها بذكاء وبطريقة لطيفة كل ما كنت تريد توجيهها إليه، وتقوم فيها بتخويفها من عنادها بطريقة لطيفة.

○ اختر أبطال القصة من حيوانات البيئة التى تعيش فيها ابنتك، والأفضل أن تختار حيواناً أو طائراً محبوباً لديها.

○ حاول تثبيت أبطال القصة بحيث تتحول إلى رموز، بمعنى أن هناك فى القصة دائماً بطة سوداء وأخرى بيضاء، البيضاء هى التى تفعل الأشياء الجميلة، والسوداء هى التى تفعل الأشياء السيئة.

○ لا تقرأ لها أى قصة فى أى وقت، وإنما القصة التى تحتوى على المضمون الذى تريد أن توصله لها، والمرتبطة بما فعلته فى هذا اليوم، فإذا كان هذا المضمون فى قصة مطبوعة فهذا جيد، وإلا تقوم أنت بتأليف قصة من عندك، وسيكون من الجيد لو قمت أنت بسررد هذه القصص عليها باعتبارك ممثل القيم والصحيح والخطأ لديها.

وهكذا يمكنك إيصال كل ما تريد عن طريق اللعب والقصص، ولنا فى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذى اتبع هذا الطريق- الحكاية وضرب المثل- فى توجيهه وتعديل سلوك أمة بأكملها خير قدوة. وتأكد أنه كلما زاد عطاؤك لها واستيعابك وذكائك فى حكاياتك أنت ووالدتها لها كانت النتائج أفضل.

○ لا ينصح أبداً بتبني الضرب طريقاً للتوجيه، فلن ينتج عنه إلا أن تخاف منك وترهبك، وهذا ما لا نريده؛ لأنها لو خافت منك فإنها لن تمتثل لما تريد أن توجهها إليه.

○ يمكنك أن ترسخ قيم الإيثار والتعاون لديها من خلال زيارات لحديقة الحيوان، وتجعلها تشاهد الحيوانات التي يغلب على سلوكها التعاون، وتقول لها: "انظري القطط الجميلة بتلعب مع بعضها، هذه القطط بتلعب مع أختها..."، وهكذا.

أما بالنسبة لسفرك، فإن تأثير ذلك على سلوكياتها متوقف على علاقتك بالأم، بمعنى أنه لو كان سفرك يؤثر على زوجتك، ويجعلها عصبية المزاج ومنفعلة بغيابك، وكان ذلك يؤدي إلى توترها وانفعالها على الأطفال، فإنه سيكون عاملاً من عوامل سلوكها هذا، فالأم هي المسؤولة عن علاقة الأب بأبنائه، فدور الأب مرهون دائماً بوساطة الأم، وبالتالي إذا كنت حريصاً على استقرار علاقتك بزوجتك، وتعمل على استمرار التفاهم بينكما، وكانت متفهمة لطبيعة عملك، فسوف تنقل هي دورها هذا المعنى لطفلتك بتلقائية، وسوف تقول لها دائماً: "إن بابا يسافر من أجلنا، فهو يعمل ليحضر لنا ما نحب ونحتاج إليه"، وتعدد لها ما تحضره بطريقة تناسب سنها وفهمها.

ومن جانبك أنت، عليك أن تعمل على استثمار وقت تواجدك معها على نحو يعوضها عن فترات غيابك، أقصد عاطفياً ونفسياً، أما على المستوى المادى فالأفضل أن تكون معتدلاً، وتتنصرف وكأنك مقيم معها طوال الوقت، حتى لا تقع في تأصيل مقدمات الأنانية لديها بكثرة الإغداق عليها بالألعاب والأموال.

خطوات لمواجهة عناد طفلك

تقول إحدى الأمهات:

لدى طفل عمره الآن ثلاث سنوات، كنت أعتقد أنا ووالده أنه حتى يتعلم الصواب من الخطأ لابد من العقاب والضرب، مع أنى كنت أكره نفسي وأغضب من والده عندما يضربه، وهاهو الآن أصبح عنيداً لا يسمع الكلام ويحاول إغاضتنا بجميع الطرق، كل أفعاله مؤذية، يضرب أخويه الصغيرين (عمرهما سنتان وسنة)، ويؤذيهما بكل ما نتصوره من أذى، وأعتقد أننا نحن السبب لفهمنا الخاطئ في التربية؛ حيث شعرت أنه يجب أن يُضرب حتى يسمع الكلام، ولكن حدث العكس تماماً، والآن ندمت ندماً شديداً على ضربنا له، وتحدثت مع والده وقررنا ألا نضربه مرة ثانية ونمسك أعصابنا؛ لأنه فعلاً يثير الأعصاب بأفعاله الشريرة والمستفزة، والتي أعتقد أننا سبب فيها، وفعلاً بدأ ضربنا له يخف، ولكن في بعض الأوقات أغتاز من أفعاله فأضربه ثانية، ولكنى أحاول أن أهدئ نفسي مرة أخرى. أما والده فقد قرر ألا يضربه ولكن يعاقبه بطريقته، وهى أن يضعه فى الأرجوحة (لدينا فى البيت أرجوحة معلقة فى السقف)، وطبعاً وجوده فى الأرجوحة يمنعه من النزول واللعب كما يحلو له، ولكنه يظل يصرخ ويبكى ويقول: (آخر مرة، لن أفعل هذا الخطأ ثانية)، ويبكى ويتوسل، ثم نقرر إنزاله، ولكنه عندما ينزل يبدأ فى فعل ما نهيناه عنه، ولا أعرف هل هذه الطريقة فى العقاب صحيحة أم خاطئة؟

طفلى يحب الحكايات كثيراً ومشاهدة أفلام الكرتون التى بها حيوانات، وأحاول عن طريق سرد حكاياتى له عن طريق أسماء الحيوانات أن أحكى له الجانب السيئ فى الحيوان الشقى الذى لا يسمع كلام أبويه، وماذا يحدث له،

وعن الجانب الحسن إذا كان يسمع الكلام، وقد لاحظت أنى عندما أخبره بأنه شاطر وحبيب ماما فى بعض الأحيان يستمع إلى كلامى، وعند إخباره بأنى لا أريد أن أضربه يقول لى: "حسنًا"، ولا يفعل ما يغضبى، ولكن هذا فى مرات قليلة جدًا...

وهناك مشكلة أخرى، وهى أن والدتى تعيش معى فى نفس المنزل، وعندما يضايقها ابنى تضربه، ولكن ليس الضرب المبرح، ودائمًا تصرخ فيه ليتوقف عما يفعل، وأنا لا أريدها أن تفعل هذا معه، ولكنى لا أستطيع أن أقول لها لا تضربيه أو لا تصرخى فى وجهه، وكما تعلمون فهى كأتى أم تعتقد أن تربيتهأ أفضل منا، فما الحل المناسب معها حتى لا أخرجها وأكون بارة بها، وفى الوقت نفسه أستمّر فى تربية ابنى؟

بدأ ابنى يلعب مع بنات الجيران (ثلاث بنات)، إحداهن للأسف شتامة وبدأ يتعلم منها، فعندما أصرخ فيه أو أمنعه من شئ يقول لى لفظًا معيبًا، وأقول له عيب ولكن لا فائدة، بدأ يرد علىّ نداءً بند، ويضربنى إذا ضربته أو منعه من شئ، عندما نخرج وأخذه معى إذا لم أنفذ ما يريد يصرخ ويرمى نفسه على الأرض، وكل الناس تتفرج علينا لأن صراخه عال جدًا، وكأن أحدًا ضربه، فقررنا ألا نأخذه لأى مكان، ما أريد أن أعرفه هو كيف أتعامل معه خارج البيت إذا لم أنفذ مطالبه الطفولية؟

والآن ابنى عمره ثلاث سنوات، هل ألحقه بالحضانة حتى يتعلم كيف يلعب مع الصغار، وكيف يتعامل مع الآخرين؟ أم أنه ما زال صغيرًا، وأصبر عليه حتى يتم الرابعة من العمر؟ علمًا بأن والده يفضل ذهابه عند بلوغه سن الرابعة، ولكنى أشعر أن ذهابه فيه راحة لنا من مشاكله، فإذا ذهب فى الصباح إلى الحضانة أظنه سيعود وقد أفرغ طاقته، وينام ويبيت بيتنا فى هدوء. ما رأيكم؟

ولهذه الأم نقول:

جميل جدًا أنكما أدركتما مساوئ الضرب وأضراره النفسية والسلوكية على ابنكما، وحاولتما تدارك هذا الخطأ، ولكن تعالى -بنظرة أكثر عمقًا- نتعرف على أسباب أخرى لهذا العناد؛ لأن معرفة الأسباب تمثل نصف طريق الحل.

لم يكن الضرب وحده هو السبب في عناد ابنكما ومحاولات استفزازه، فهناك طفلان أصغر منه يشعر بالغيرة منهما؛ خاصة أنكما تداركما أمر الضرب مع طفليكما الآخرين، وهو ما أدى إلى تفاقم الإحساس بالغيرة والقهر والظلم عنده. وقد تكون لدى الطفل مفهوم عن ذاته بأنه طفل غير محبوب وغير مرغوب فيه، ليس بسبب الضرب فقط، بل لإحساسه بأنك ترغبين في التخلص منه كما ذكرت في آخر الرسالة عند السؤال عن إلحاقه برياض الأطفال: "لكنني أشعر أن ذهابه فيه راحة لنا من مشاكله..."، فبالله عليك ألا يشعر الطفل بمشاعرك هذه حتى وإن لم تتلفظي بها أمامه؟

اعلمي أن هذه السن التي يمر بها طفلك هي مرحلة حب الاستطلاع واستكشاف العالم من حوله، فهو يرغب في مسك الأشياء والتعرف عليها (أي شئ يجده أمامه)، لكن كثيرًا من الآباء والأمهات يمنعون الطفل من ذلك ويزجرونه؛ لأنه حاول اكتشاف شئ غريب عليه، بل قد يصل الأمر أحيانًا إلى الضرب حتى يرتدع الطفل.

كما أن هذه المرحلة هي مرحلة الرغبة في الاستقلالية، فبعد أن كان الطفل يعتمد على من حوله في كل شئ (طعامه - ملابسه - حتى في عملية الإخراج...) بدأ يشعر أنه يستطيع أن يفعل أشياء كثيرة دون مساعدة من أحد، ويشعر بالفرح والفخر بنفسه والرغبة في اختبار قدراته، إلا أن كثيرًا من الآباء

يحرّمونه من ذلك، ويتعلّلون إما بضيق الوقت أو بصغر سن الطفل، ويرون أنه لن يتمكّن من ارتداء ملابسه بمفرده، أو أنه سيعطل باقى أفراد الأسرة عن موعدها إن هو ارتدى ملابسه بمفرده.

ومن أسباب العناد أيضًا كثرة الأوامر والنواهي وافعل ولا تفعل، فهي قيود خانقة تلجئ الطفل بل تغريه برفض هذا الكم من الأوامر، وطلب بعض الأشياء من الطفل فى أوقات غير مناسبة بالنسبة له (أثناء لعبه مثلاً)، والتذبذب فى التربية والتوجيه؛ فمرة يطلب منه شئ ومرة أخرى يُنهى عن نفس الأمر.

ومن أهم الأسباب مقابلة عناده بعناد مماثل، فهو يُصرّ على رأيه، وأنت تتعاملين معه بالمثل وبنفس الأسلوب. وربما يحدث العكس، ويقابل عناده بتلبية رغباته بعد أن يختبركما فى متى سترضخان لطلبه، بعد بكاء بسيط أم بعد صراخ وعويل أو بعد إلحاح واستعطاف؟

وهكذا نجد أن كل هذه العوامل أدت بالطفل إلى الإحساس بالغضب الشديد والرغبة فى إغاضتكما واستفزازكما.

وبعد أن استعرضنا بعضًا من أسباب عناد ابنك، تعالى لنستعرض الحل الذى يتملّ فيما يلي:

- لا بد أن تعزما عزماً أكيداً أنت وزوجك ألا تلجأ للضرب أبداً مهما حاول الطفل استفزازكما.
- أن تعيا تماماً أن تعديل وتصحيح أى خطأ قام به الوالدان فى التربية لا بد أن يستغرق وقتاً كبيراً، ويتوقف هذا الوقت على مدى رغبتكما فى التغيير ومدى صبركما، ومدى الاستعانة بالله.

ولابد أن تعيدا بناء العلاقة الودودة الدافئة بينكما وبين طفلكما، وذلك من خلال الخطوات التالية:

- (١) تخيرى يوم إجازة لزوجك، واقترحي عليه أن تخرجوا جميعًا للتنزه فى مكان مفتوح (حديقة- نادى)، ولا تخبرا أحداً من أبنائكما، بل اجعلى الأمر مفاجأة، والأفضل أن توقظى أبنائك فى الصباح على هذا الخبر الجميل بفرحة وانفعال سار، وذلك حتى يسعدوا بهذه المفاجأة، وقبل أن يقوم ابنك (صاحب المشكلة) بأية مواقف استغزازية تعكر أو تفسد ما تخططين له من إيجاد العلاقة الإيجابية بينكما، جهزا لهذه النزهة، وحاولى أنت وزوجك أن تتغاضيا عن أية مواقف استغزازية يقوم بها ابنك فى لحظات التأهب للخروج، بل عليكما بالتظاهر بعدم رؤيتكما لهذه المواقف، وحاولا إضفاء روح المرح على هذه الرحلة مهما حدث، وكررا مثل هذه النزعات والرحلات بشكل دورى.
- (٢) لا بد أن تكونا منصفين فى التعامل مع أبنائكما، ولا تفضلا أحداً على الآخر فى أى شئ، سواء كان مادياً أم معنوياً.
- (٣) اصطحاب الأب للطفل عند ذهابه للصلاة فرصة رائعة؛ لأن الطفلين الآخرين صغيران ولن يستطيعا الذهاب إلى المسجد، ولا بد أن يقال ذلك أمامهم جميعاً، كأن يقول الأب: "أنت كبرت الآن، ويمكن أن أصطحبك إلى المسجد، وحينما يكبر الصغيران سوف تصحبهما أنت للمسجد معى".
- (٤) دائماً أنصح الأمهات بأن يحددن وقتاً للعب مع أبنائهن؛ فهى فرصة للمشاركة وإرساء المحبة والود بينهم، وكذلك الأب فى الوقت الذى يتواجد فيه مع أبنائه.
- (٥) لا تحاولا التركيز على كل أفعال ابنكما، ولا تكثرنا من الأوامر والنواهى.
- (٦) شجعا ابنكما على الاكتشاف والفك والتركيب، وتنمية مهاراته العقلية واليدوية وغيرها من المهارات.

(٧) استمرى فى قص القصص والحكايات، فهى من أمتع الأنشطة التى يرغب فيها الأطفال، ولا تجعلى همك فى القص هو الوعظ والإرشاد؛ بل اجعلى طفلك يستمتع بهذه القصص دون أن تلمحى له فيها إلى أخطائه على لسان الحيوانات وغيرها، ومعظم القصص -خاصة قصص الحيوانات والبطولات- بها أفكار جيدة وقيم يتعلمها الأطفال، وتاريخنا مليء بصفحات مشرقة عن الأبطال التى تستهوى أطفالنا جداً.

(٨) عبّرى عن حبك لابنك بشكل ملموس؛ احتضنيه وقبله من آن لآخر، وحدثه عن شوقك إليه أنت ووالده قبل أن يولد، وكم كنتما تنتظران قدومه بفارغ الصبر.

(٩) اتركاً لطفلكما فرصة للاعتماد على نفسه فى كل ما يستطيع أن يفعله من ملابس ومطعم وغير ذلك.

(١٠) حاول ألا تأمر الطفل بأمر أو تطلباً منه شيئاً يفعله فى الحال أثناء اندماجه فى اللعب أو مشاهدته للكرتون مثلاً.

(١١) أرجو أن يكف والده عن تعليقه على الأرجوحة كنوع من العقاب؛ لأن ذلك يجعل الطفل يشعر بعدم الأمان، ولكن إذا اتبعنا النقاط السابقة واللاحقة فلن تلجأ إلى العقاب إلا فى أمور بسيطة، ويكون العقاب فى الغالب هو عدم التحدث إليه لفترة أو بمجرد أن يفهم الخطأ الذى فعله دون وعظ أو تأنيب، فسوف يكف عن ممارسة كثير من الأخطاء وليس كلها.

(١٢) احرصاً كل الحرص على عدم التذبذب فى التربية والتوجيه، فلا تأمر بشئ ثم تتهيان عنه فيما بعد.

(١٣) بعد تنفيذ كل ما سبق حاولي ألا تصطدمي مع ابنك، فعندما تطلبين منه شيئاً ويرفض أن يؤديه لا تقفى أمامه وتصرى على تنفيذ الطلب، بل يمكنك إبداء

الغضب على وجهك مع القول له بصوت حانٍ وحازم: "فكر قليلاً قبل أن ترفض، وأنا منتظرة ردّاً آخر غير الذى رددته عليّ" واتركيه ليفكر قليلاً، فإذا أصر على عدم تلبية ما تطلبين، فعليك حينئذ ألا تتحدثى معه لفترة قصيرة، فإذا أتى إليك نادماً يتحدث معك وليس شرطاً أن يعتذر، (وأنا أتوقع ذلك بعد تنفيذ النقاط السابقة)، فتحدثى معه كأن شيئاً لم يكن، وإذا كرر هذا الموقف كررى نفس الاستجابة، أما إذا كرر ذلك للمرة الثالثة فعليك أن تقولى له: "لقد أعطتك ماما أكثر من فرصة، والآن أنا أنتظر أفعالاً لا أقوالاً واعتذارات".

١٤) لا ترضخى لتنفيذ ما يطلب حينما يبكى أو يصرخ، فإن ذلك تعزيز للصراخ والبكاء، ولكن عليك أن تقولى له أثناء بكائه بصوت حازم أيضاً: "هذا السلوك يغضب ماما"، واتركيه ليفكر فيما يمكن أن يفعله، فإذا استمر فى البكاء يمكن أن تنتظري لحظة هدوئه أو انخفاض صوته بالبكاء، وقولى له حينئذ: "أحسنّت صنعا، الآن يمكن أن تتحدث إلى ماما وتطلب ما تريد، وإذا كان ممكن التنفيذ نفذته لك".

أما بالنسبة لموضوع الحضانة، فيتوقف إلحاقه بها على مدى مثابرتك أنت وزوجك على تعديل سلوك الطفل، وعلى مدى نجاحكما فى تصحيح المفهوم الذى كوّنه عن ذاته من كونه طفلاً غير مرغوب فيه، فإن استطعتما أن تبنيا ثقة ابنكما بنفسه وبكما، وترسيخ فكرة أنه أصبح طفلاً محبوباً لا تريدان التخلص منه بذهابه للحضانة، وشعر بأنك تفتقدينه حين يغيب عن نظرك، فيمكنك حينئذ إلحاقه بالحضانة، وأنا أشك أنه سيحدث كل هذا فى هذه الفترة القليلة القادمة هذا العام، أما إذا لم يتم ذلك التعديل المرجو فأجلى ذهابه للحضانة للعام القادم.

وبالنسبة لوالدتك، فخير وسيلة لإقناعها بالكف عن ضرب الطفل هو تبديل أسلوبكما أنت وزوجك مع ابنكما، وتحويله من الضرب إلى التفاهم وإظهار الحب، وإذا استمرت فعليك حينئذ أن تتحدثي معها بشكل ودود وتوضحين لها أن الطفل يحتاج إلى الحب والعطف، وأنت كنت تنتظرين منها إذا انفعلت أنتِ على ابنك -هذا الكائن الضعيف- وغضبتِ منه للحد الذي يصل لضربه، أن تقوم هي باستيعابه واحتضانه وكفكة دموعه، فهذا هو حال ودور الأجداد والجَدات، ثم اعرضي عليها بصورة اقتراح قائلة: "ماذا لو جربنا جميعاً أن نكف عن ضربه، وعوضناه عن هذا بالحب والعطف دون تدليل؟".

ابنة الـ (٩) أشهر تسعى للحرية!

نقول إحدى الأمهات:

طفلتى عمرها تسعة أشهر، ألاحظ عليها أحياناً أنها تميل إلى العناد؛ فمثلاً عندما أحاول تغيير الحفاضة (الكادليز) لها تتقلب يمينا ويساراً، بحيث لا أستطيع تهدئتها إلا بقبلة أو لمسة أو بإعطائها أى شئ لتلهو به بين يديها. ومن ناحية أخرى تصر على أخذ شئ ما قد لا يناسبها، وعندما آخذه منها تبكى وتتشنج يداها وقدماهما ويحمر وجهها وصراخها يعلو.. فبم تنصحوننى؟ وهل هذا مؤشر على أنها ستصبح عنيدة؟

ولهذه الأم نقول:

أليس من العجيب أن نتخيل أن طفلتنا تولد ولديها الرغبة فى أن تعاندنا ثم نعود بعد ذلك ونشكو من أن أطفالنا يعاندون؟! لقد بدأت أشعر أن الآباء والأمهات لديهم مخزون من العند ينقلونه لأطفالهم.

كيف يا سيدتى تتخيلين أن طفلك التى تحاول أن تتعرف على الدنيا لأول مرة تعاندك؟! كل ما فى الأمر أن الطفل يعشق الحرية، وحين يتخفف من ملابسه فإنه يستمتع جدا بتحريك يديه وذراعيه والتمتع بهذه النسمة المنعشة من الهواء على جسده؛ ولهذا ينصح بعض الأطباء الأم إذا كان هواء الغرفة ودرجة حرارتها مناسبة أن تترك الطفل أثناء تغيير ملابسه لبعض الدقائق دون أن تلبسه الملابس الجديدة؛ فإن ذلك أصبح لجلده؛ وذلك لتعرضه للهواء المنعش.

ولا يمكنك أن تتخيلي كم يستمتع الأطفال بهذه اللحظات، وكل ما تتمناه منك طفلك أن تشاركها هذه اللحظات من اللعب والحرية، وأن تلعبى وتضحكى معها، وليس ضروريا أن تكونى دائما فى عجلة من أمرك.. فقط حاولى أن توفرى لنفسك بعض الدقائق الزائدة حتى لا تكونى متوترة الأعصاب، وأن تغيرى لطفلك ملابسها، وكونى على قناعة تامة بأنك بهذه اللحظات من الضحك والمرح تكسبين طفلك استقرارا نفسيا وعاطفيا وقوة فى الشخصية وثقة بالنفس.

لا بد أنك لاحظت أن طفلك تكتسب الكثير من المعلومات والخبرات فى الحياة لم تعلمها أنت لها.. فهل فكرت يوما من أين اكتسبت طفلك هذه الخبرات؟ إنها فقط تنتظر حولها، وتحاول أن تتعرف على كل ما تشاهده، وتحاول أن تمسك بأى شئ بيديها لتتعرف عليه أو تضعه فى فمها لتتذوقه.

هذه ليست عادات سخيفة من الطفل، ولكنه حب الاستطلاع الذى فطره الله عليه ليتعرف على كل ما حوله، ولتظل الآية الخالدة {علم الإنسان ما لم يعلم}.. (سورة العلق: ٥) فطفلك تريد أن تتعرف على الشئ الذى فى يدها وتختبره، فإذا كان هذا الشئ ليس فيه أى خطورة عليها فاتركه فى يدها.

واعلمى أن الطفل الذى يأخذ قدرا كبيرا من الحرية فى الحركة والانطلاق منذ صغره ويأخذ مساحته فى التعبير عن نفسه ينشأ قويا واثقا من نفسه، ويكون

أكثر هدوءًا من الأطفال الذين يعانون طوال الوقت من تعليمات الأم والأب أو النهي المستمر عن أشياء ربما نزعجنا نحن قليلًا ولكنها لا تضرهم في شيء، بل هي عالمهم الذي يتعايشون معه؛ فلنتعلم أن نترك أطفالنا على حريتهم قليلًا، ونكتفى فقط بمراقبتهم من بعيد، والتدخل فقط عند وجود خطورة على حياتهم.

اجعلوا شعارهم.. التفوق على الذات لا الغير

يقول أحد الآباء:

ابنى يبلغ من العمر خمسة عشر عامًا، ونحن من عائلة ميسورة الحال، وهو متفوق في دراسته، مشكلته أنه شديد الغيرة من أصحابه، ولا يريد أن يكون أحد أفضل منه، ويتضايق إذا حصل أحد أصحابه على جائزة في إحدى المسابقات لم يحصل عليها هو، تكلمت معه فصارحنى، وقال لى: "نعم أنا أشعر بذلك، وأغار بشكل فظيع"، نصحته وكلمته كثيرًا دون فائدة، إضافة إلى ذلك فهو عندما يغار من شخص فإنه يفتري عليه ببعض الكلام عند أصحابه بهدف تشويه سمعته، وهناك مشكلة أخرى، وهى أنه يحب الحديث عن الجنس وعن العلاقات الجنسية، والتكلم فى أعراض أصحابه، والبحث عن عيوبهم، أريد نصيحتكم واستشارتكم.

ولهذا الأب نقول:

مشكلة ابنك هى الغيرة الشديدة، وهى من المشكلات التى يسهل الوقوع فيها ويصعب الخروج منها، فقد وقع فيها إخوة يوسف -عليه السلام- رغم كونهم عسبة، ورغم أنهم كانوا أكبر سنًا -فكان أولى بهم حفظه ورعايته-، فقد اعتبروا اهتمام يعقوب -عليه السلام- بيوسف الصغير الضعيف نوعًا من عدم العدل بين الأبناء، مع أن المرأة العربية بفطرتها السليمة عندما سئلت عن أحب

أبنائها إليها قالت: "المريض حتى يُشْفَى، والغائب حتى يحضر، والصغير حتى يكبر"، وقد أدرك إخوة يوسف خطأهم بعد خبرات كثيرة ورحلات طويلة، فقالوا "يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ" (يوسف: ٩٧).

وحتى لا أطيل سأوجز التعليق على المشكلة في نقطتين هما، الأسباب والعلاج:

أولاً: الأسباب:

البيئة والشخصية عاملان هامين في هذا الشأن، فالبيئة التي تعمل على إيجاد جوٍّ من التنافس بين الأقران على اعتبار أن ذلك حافز لكل الأفراد على التفوق عادة لا تراعى الفروق الفردية، هذه الفروق غالباً ما تجعل نتائج الاختبارات والمسابقات محسومة مسبقاً لصالح أصحاب المواهب، بينما يعاني الآخرون من الإحباط المتكرر فتتشأ الغيرة، وما يترتب عليها من الغيبة، والبهتان، والحقْد، والحسد، والكبر، والإيذاء.

والشخصية المحبة للظهور المتعطشة للمدح ترى في تقدم الآخرين اعتداءً على حقها في الظهور والمدح، وربما يصاب المتفوقون بشئ من هذا -وابنك منهم- وليس هذا عيباً في التفوق، ولكنه قصور في فهم أبعاد التفوق، وضعف في الثقة بالنفس.

ثانياً: العلاج:

يتمثل العلاج في مثل حالة ابنك في:

- إيجاد جو من التعاون، وتحويل التنافس مع الأقران إلى تنافس مع الذات، بمعنى أن التفوق هو التفوق على الذات بتحقيق مستوى أفضل وليس التفوق على الآخرين، وبالتالي فكل من أحرز نتيجة أفضل من المرة السابقة يستحق جائزة.

- الثقة بالنفس واكتشاف مواهبها، فكلما أدرك الشاب أنه لا يخلو إنسان من موهبة وأن التنوع سنة في الحياة، حرص على اكتشاف مواهبه وازدادت ثقته بنفسه، ويمكن مساعدته على إدراك هذا المعنى من خلال الألعاب الجماعية، فلو أن كل أعضاء الفريق كانت موهبتهم في الهجوم فقط دون الدفاع، لفشل الفريق وخسر، ولو أن واحداً فقط من أعضاء الفريق كان هو الموهوب والمتفوق، واستمر في اللعب وحده طوال المباراة لفقدت اللعبة أو العمل المتعة والمعنى والهدف منها.
- الرضا بالله وحكمته في تقسيم الخصائص والمواهب على عباده، ففي ذلك رحمة بهم ونعمة لهم جميعاً تستحق الشكر كل صباح ومساءً، كما علمنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله: "اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك، فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر"، فهو يرى -عليه الصلاة والسلام- في كل نعمة أنعم الله بها على أحد من خلقه نعمة عليه؛ لأنها أولاً من الله، ولأنه إذا تعامل الخلق بالإسلام لشملت ثمرة كل نعمة صاحبها ومن حوله من البشر.
- الاقتناع بالحاجة إلى التخلص من هذه الصفة، فقد صارحك أنها فيه وهذا جيد، وذلك معناه أنه مقتنع بوجودها، فالاعتراف بالمشكلة هو نصف العلاج، وبقي أن يقتنع بالتخلص منها ليس من أجل الآخرين، ولكن من أجل نفسه حتى لا يخسر كل شيء.

الإلحاح الباكي للطفل

تقول إحدى الأمهات:

مشكلة ابنتي التي تبلغ من العمر عامين أنها إذا حان وقت نومها ترفض الذهاب إلى النوم، مع أننا جميعاً نتهياً له، أنا ووالدها، وأحياناً تذهب معي، ولكن

بعد أن أضعها في سريرها تبدأ بطلب بعض الأشياء كالماء والحليب أو الفواكه؛ لكي تخرج من الغرفة فقط، وإذا انتهت منها تبدأ بطلب تشغيل الفيديو، وإذا رفضت ذلك بحزم تظل تبكي بكاءً شديدًا لساعات، وعندى الاستعداد لتحمل ذلك، لكن والدها يخرجها من الغرفة.

كما أنها ترفض أن أتركها وحدها تشاهد الفيديو وأذهب لأنام مع أنها لا تخاف، بل تجبرني على الجلوس معها، وأنا أبدى غضبي منها، أحياناً تقول هيا نذهب لننام، وإذا وضعتها في السرير تطلب مشاهدة الفيديو مرة أخرى، وقد يتكرر ذلك ثلاث أو أربع مرات في الليلة الواحدة، وبالتالي فلا تنام إلا في وقت متأخر جدًا. أحياناً يبدو عليها النعاس ولكنى أشعر أنها تغالب النوم، وتحاول تنشيط نفسها بالضحك واللعب، وأخيرًا إذا نامت تستيقظ كثيرًا وتبكي، وأعتقد أنها ترى أحلامًا مزعجة، مع أنها لم تفعل أنشطة كثيرة في نفس اليوم. فماذا أفعل معها؟؟!

ولهذه الأم نقول:

مشكلتنا في التعامل مع أطفالنا أننا نتعجل نموهم ونضجهم، وسريعاً ما نتعامل معهم على أنهم كبار ومسؤولون عن تصرفاتهم، في حين أنهم لا يزالون في محاولة لفهم ما يحدث حولهم، ويحاولون إيجاد صيغة يتعاملون بها معنا!! ومع الأسف بدلاً من أن نتحكم نحن في طبيعة هذه الصيغة وأسلوب التعامل، نسقط في الفخ، ونستسلم لأسلوبهم هم في حل المشكلات وتنفيذ مطالبهم.

إن ابنتك في عامها الثانى، ولا تزال في مرحلة الطفولة المبكرة، ولكنها أدركت بفطرتها وذكائها أن أسلوب البكاء، والإلحاح، والإصرار على رأيها يؤتى ثماره معك، وسرعان ما تستسلمين لمطالبها، وتنفيذ لها ما تطلب تخلصاً من إلحاحها وبكائها.

إنك يا سيدتي لم تحاولي وضع نظام وقواعد للتعامل معها، ولكنك تحاولين تنفيذ مطالبها قدر المستطاع؛ لعلها تنتهي من هذه المطالب وتنام، ولكن الواقع أن ابنتك أعجبتها هذه اللعبة، فكلما طلبت شيئاً نفذته لها، فلماذا تنام؟ وإذا رفضت بدأت في البكاء والصراخ الذي لا يحتمل.

إن حل المشكلة يسير في خطين متوازيين:

أولهما: مساعدتها على الدخول في النوم بسلام، وذلك بتعويدها على الاستيقاظ مبكراً، وعدم النوم طوال النهار، ومحاولة شغلها بأنشطة وألعاب تستنفد طاقتها طوال اليوم، ثم تأخذ حماماً دافئاً قبل موعد النوم، ولا بد من التفاهم معها على طريقة النوم، فقبل الدخول إلى الفراش ننتهي من كل الطلبات، مثل: الحمام، والأكل، والشرب، وكل شيء، ونرفض تنفيذ أي طلب لها بعد دخول الفراش مهما بكّت أو ألحّت، ولكن كوني حازمة معها واتركيها تبكي، لو بكّت ساعة في أول يوم ستبكي نصف ساعة في اليوم الثاني وهكذا، ولكن لابد أن توقفي هذا الأسلوب في البكاء والإلحاح، وحاولي تثبيت ميعاد للنوم فذلك يساعد على النوم بهدوء.

وثانيهما: التفاهم معها، ثقي أنها ستفهم ما تقصدين، مثلاً تتحدثين معها قبل النوم أنك ستخاصمينها لو بكّت قبل النوم، وستحرمينها من شراء الحلويات.. وعندما تبكي تخاصمينها فعلاً، وترى هي أثر ذلك في طريقة كلامك معها، وكذلك في أي أمر تستعمل فيه أسلوب البكاء والصراخ، فلا ينفذ لها الطلب حتى تكف عن البكاء.

العنف عند الأطفال

يقول أحد الآباء:

هل يولد الطفل وبداخله غريزة حب الشجار أم أن العنف سلوك مكتسب !!؟
والى أى مدى نؤثر نحن كأباء وأمهات على سلوكيات أطفالنا !!؟ هذه الأسئلة
وغيرها كثيراً ما تدور برأس كل أم وأب.

ولهذا الأب نقول:

إن العنف غريزة إنسانية، لكنه أيضاً سلوك مكتسب يجب التحكم فيه
وتوجيهه بشكل صحيح، حيث إنه لم يثبت أن العنف صفة وراثية، لكن غالباً
الأب العنيف أو الأم العنيفة يكون طفلها عنيفاً لكونهما النموذج الذى يحتذى به
طفلها، والحقيقة أنه سواء ولد طفلك بميل للعنف أم لا، فإن كثيراً من العوامل
التي يمر بها على مدار حياته ستؤثر فى تكوين شخصيته.

وهناك أسباب عديدة للعنف، منها:

١. وجود أب عنيف أو أم عنيفة: فإذا أظهر أحد الوالدين سلوكيات عنيفة عند
الغضب، سيعتقد الطفل أن هذه هى الوسيلة الصحيحة للرد على أى موقف
مثير للغضب.

٢. افتقاد التوجيه السليم: فالأطفال لا يولدون وهم يعلمون السلوكيات المقبولة
اجتماعياً، وبالتالي فهم يحتاجون دائماً لأن نعلمهم ونذكرهم كيف يعبرون
عن أنفسهم بشكل صحيح فى كل المواقف، والإخفاق فى ذلك سيؤدى إلى
صعوبة السيطرة على الطفل.

٣. مستوى الضغوط في الأسرة: فعدم الأمان وافتقار الحب وعدم استقرار الجو الأسرى وما قد يصاحب ذلك من شجار وصراخ يحزن الأطفال ويجعلهم عصبين ومفتقدين للأمان. وقد يؤدي هذا إلى عنف الطفل وعدوانيته تجاه الآخرين.
٤. تعزيز العنف عند الطفل: فقد يعزز الوالدان سلوك الطفل العنيف إذا شعر الطفل بسعادة أو ابتسامة على وجه أحد والديه عندما يتصرف بشكل عنيف في موقف معين، وقد يظن الوالدان أنهما بهذه الطريقة يربيان طفلاً صلباً يستطيع التعامل مع جميع المواقف.
٥. الغضب المكبوت: فإذا كان الطفل يُمنع دائماً من التعبير عن غضبه، سيشعر بالغضب والإحباط وسيؤدي ذلك إلى العنف، لذا يجب أن يكون الهدف هو تعليم الطفل الطرق الصحيحة للتعبير عن المشاعر السلبية وليس تعليمه كيف يكبت مشاعره.
٦. الإحباط: لو لم يتم إشباع احتياجات الطفل من الحب والرعاية والفهم، فإن ذلك سيؤدي إلى شعوره بالإحباط مما قد يؤدي إلى العنف، ومن المهم أن نشير إلى أنه ليس كل إحباط يؤدي إلى عنف، فالإحباط يساوي العنف إذا كان هناك نموذج عنيف في الأسرة، أو إذا لم يتم توجيه الطفل بشكل سليم.
٧. البرامج التليفزيونية العنيفة: فقد أثبتت الدراسات أن العنف الموجود ببرامج التليفزيون يؤدي إلى عنف الأطفال بثلاث طرق: (١) التعلم عن طريق الملاحظة، وهو أن يقوم الطفل بتقليد ما يشاهده في التليفزيون. (٢) ضعف الحساسية تجاه العنف، وهو بأن يصبح الطفل أقل حساسية تجاه العنف ويشعر أنه شيء طبيعي. (٣) قلة الموانع ضد العنف لدى الطفل، فمن الطبيعي أن يكون لدى الإنسان موانع داخلية تمنعه من العنف، ولكن في هذه الحالة يفقد الطفل هذه الموانع.

٨. **الغيرة بين الإخوة:** يجب أن يحرص الآباء على عدم تحفيز مشاعر الغيرة بين الأطفال، فالمساواة في المعاملة بين الأطفال وتقسيم الاهتمام والحب بينهم بالتساوى يقلل من الشعور بالغيرة بينهم.

الطفل المتمرد ورسائله الصامتة

يقول أحد الآباء:

ابنى عمره ست سنوات، وهو فى السنة الأولى الابتدائية، يحب أن يلبس شيئاً معيناً ويظل مرتدياً له طوال اليوم، فمثلاً هناك بنطلون جينز يحب أن يلبسه، سواء فى الخروج أو المدرسة أو فى البيت، ولا يريد أن يخلعه أبداً (مع العلم بأنه عنده بدلاً منه الكثير).. حاولنا معه بكل الطرق أنا ووالدته، (ولكن اللى فى دماغه فى دماغه).

فى النهاية أخذت منه البنطلون وقلت له لن تلبسه أبداً مرة ثانية، فى نفس اليوم أو ثانى يوم وجدته والدته يخرج جلابياً كانت جدته قد أحضرته له منذ وقت طويل، ولكنه كان طويلاً عليه وقتها، فلما لبسه الآن أصبح معقولاً، لبس الجلابى وذهب إلى المسجد لحفظ القرآن، واتسخ الجلابى فأخذته أمه وغسلته ونشرته.. وإذ بها تفاجأ فى الصباح أنه أحضر الجلابى من على حبل الغسيل بمفرده وأحضر المكواة وكوى الجلابى ولبسه... واتصلت بى فى العمل وأخبرتني بذلك.

أنا أصبحت متخوفاً، فقد أكون أمام طفل نابغ -وأنا لا أعرف- وبتصرفاتى معه أقل من نبوغه وأحد من قدراته... أريد إرشادى لكيفية التعامل معه، فأنا أحياناً ألجأ إلى الضرب، وفى الفترة الأخيرة قلت له أنت لا ينفع معك أن نكون

أصدقاء، ولا ينفذ معك التعامل بشكل لطيف ومهذب أو باحترام، إذن بعد الآن كل شيء سيكون بالضرب وليس لك عندى غير هذا...

بعد ضربه أجد أنه بدأ يتحسن، ولكن تحسنه يكون أمامى فقط، فلو ضربته على شيء لا يفعله أمامى ولكنه قد يفعله من ورائى، وعندما أعرف أضربه وأخبره أنى عندما أقول شيئاً يجب عليه ألا يفعله، سواء أنا موجود أم لا، ولكنه غالباً لا ينتهى ويفعله أيضاً من ورائى، فتكون النتيجة أنى أتغافل عنه وكأنى لا أعلم، لأنى لو علمت وجب على ضربه، وهكذا.

المشكلة الثانية أنى كنت قد أقنعت منذ صغره أن الشيبسى شيء سيئ، وقد أصيب مرة بمغص فى البطن وقئ، وكان مؤلماً جداً عليه، فقلت له إن سبب هذا أن هناك أكلات غير صحية مثل الشيبسى واللانسون، فاقنعت تماماً، ولكن مع دخول المدرسة بدأ يرى الأطفال يأكلون مثل هذه الأطعمة وغيرها، فخافت عليه أمه أن ينظر إليهم، فكانت كل فترة تحضر له شيئاً منها، وكانت مشرفة سيارة المدرسة تقول إنه أحياناً يأخذ من أصدقائه هذه الأشياء، فأصبحت أمه تحضر له هذه الأشياء بشكل أكثر من قبل، ولكن رغم هذا ما زال يفعل نفس الشيء مع أصدقائه، بل إن المشرفة قالت إنه أحياناً يأخذ من الأرض أكياس الشيبسى الفارغة ويقوم بتذوقها بلسانه أكثر من مرة، ورغم أننا نزيد له من كمية الشيبسى إلا أن ذلك لا يؤثر فى سلوكه.

وأخيراً أيضاً الكاتشب يأكله بشكل معتدل، ولكن أمه اكتشفت أنه يقوم بنفس الفعل مع أكياس الكاتشب الصغيرة الموجودة فى فناء المدرسة المتخلفة من الأولاد، وحتى لو أن أمه أعطته منه فلا يغير ذلك شيئاً، بل إنه قد لا يسأل عنها فى البيت وقد تكون أمامه ولا يطلب منها، وأحياناً يطلبها بشكل شرس جداً.

المشكلة الثالثة أنه إذا كان معه أحسن لعبة وأحسن لبس ورأى آخر معه لعبة أقل مما معه بل قد يكون كيساً به ورق يلعب به فإنه يريد أن يأخذ منه هذا الكيس ويترك لعبته.

أرجو إرشادى إلى كيفية التعامل مع هذا الطفل بشئ من التفصيل.

ولهذا الأب نقول:

حالة ابنك تدور حول بعض المعارك والصراعات، أقصد السلوكيات المقلقة لكم، وهى معركة الملابس، ومعركة الأكل، ومعركة اللعب... وسنحاول معاً تحليل حالته لنجيب على هذا السؤال: هل سلوكيات طفلك تعتبر سلوكيات طبيعية لمرحلته الغضة؟ أم هى مشكلات سلوكية مرضية؟؟؟ وهل طفلك الصغير ظالم أم مظلوم؟؟؟.

وسنحللها طبقاً لهذه المنهجية المرتبة:

نقول إننا عندما نبحث عن الحل المثالى لأى مشكلة سلوكية من مشكلات الطفولة؛ فإن علينا أن نتبع هذه المنهجية ذات الخطوات الأربع:

مع اعتبار هذه القاعدة الذهبية: (إن أى سلوك غير سوى عند الأطفال قد يكون مجرد سلوك طبيعى لمن هم فى مثل سنه، وقد يكون مجرد رسالة رفض أو تمرد ضد خلل تربوى والذى أو بيئى يواجهه، وقد يكون مجرد مخرج للهروب من واقع نفسى أو أسرى أو بيئى يواجهه، وقد يكون مجرد طريقة أو وسيلة دفاعية أو سلاح هجومى تجاه تعامل الآخرين معه).

ولابد من احترام هذه النظرية الهامة: (إن سلوكيات الأبناء ما هى إلا ترمومتر لأحوال الأسرة ووضع البيئة المحيطة بها)..

ولنبداً تحليلنا لشخصية وسلوكيات طفلك:

الخطوة الأولى: أهم سمات وخصائص طفل الست سنوات:

(١) الجانب العاطفي (النفسي والاجتماعي):

- يحاول الطفل لفت الانتباه الفردي.
- ينتقل بين الاعتماد على النفس تارة وعلى الغير تارة أخرى.
- بداية فهم أهمية الدراسة.
- يُظهر الجدية أحياناً.
- يظهر بعض السلوكيات العصبية.
- حساس وانطوائى.
- يحب المساعدة والتدخل.
- يعبر عن حبه للآخرين سواء بالكلمات أو القبلات، ... إلخ.
- بداية التمتع بروح المنافسة.
- حساس للتواضع والرحمة.
- لا يصبر على الوقوف فى الطوابير أو فى الدور الطويل.
- يحب اللعب الخشن والفوضى.
- يحب السيطرة على اللعب فى مجموعات صغيرة والعكس فى المجموعات الكبيرة.
- يستجيب جيداً للسلطة الضابطة (العدل، والعقوبة، والنظام).
- لا يفهم المطلوب منه أو كيفية التنفيذ أو تبرير لماذا يفعل ما قام بفعله.

(٢) الجانب الفكرى:

- تعلّم القراءة والكتابة والعد.
- فترة انتباه قصيرة (٩٠) ثانية تقريباً.

- استخدام منطقي للحجم، والقياس، والأرقام، والوزن.
 - مستوى متوسط في القراءة.
 - يهتم ويعجب بالقدرات الجسمية، ودائماً يسأل: بـ (لماذا؟) عن حركات الجسم.
 - بداية التعبير عن الآراء ووجهات النظر الشخصية.
 - بداية فهم العمل الجماعي.
 - لديه قدرة كبيرة على الإبداع.
 - يحب ويندفع للتعلم ليُرَضَى الآخرين.
 - توسيع دائرة الاهتمامات (التلفزيون وألعاب الإيقاع الحركي كالرقص وألعاب الجمباز والشقلبة).
 - يحب أن يكرر الحركات والأنشطة المعروفة والتي يمكنه إتقانها.
- الخطوة الثانية: التعامل مع هذه المرحلة السنّية، ومهارة إشباع هذه الاحتياجات من خلال:
- الدعم الإيجابي بالتشجيع والتقدير.
 - الإغداق عليه بالحب.
 - الملامسة، بالاحتضان، والمسح على الشعر، ومسك الأيدي.
 - تذكيره بالقيم والمعايير.
 - اكتشاف مواهبه وتنميتها.
 - حسن الاستماع.
 - الحوار.
 - بناء روح الفريق من خلال اللعب والمشاركة الجماعية.

الخطوة الثالثة: فهم الظروف أو التغيرات البيئية غير الطبيعية التي مرت بها أسرة الطفل عامة والطفل خاصة، والتي أدت إلى تغيير سلوكه فأوجدت المشكلة:

لعلنا من الخطوتين السابقتين ومن قراءتنا لسلوكيات طفلك عامة نلاحظ أن هناك شيئاً من عدم فهم مرحلته السنية وسماتها، ولعل أهمها وأبرزها بل أخطرهما هنا حب لفت الانتباه والحساسية المفرطة، والأنانية، والعصبية، وإرادة التعبير عن الرأي الشخصى.

ونلاحظ فى تعامل الوالدين مع صغيرهما ما يلى:

- عدم احترام آرائه، لاحظ معى هذه الأخطاء الوالدية القاتلة (البس ما يعجبنا)، (كل ما يعجبنا)، وهكذا.
- عدم الحوار والسماع له.
- تضخيم مشاكله، وكأنها دائمة وليست مؤقتة، وكأنها زلزال سيطيح بمستقبله، بل وكأنها قنبلة ستودى بوضع الأسرة الاجتماعى!!!.

تأمل كيف اتصلت الأم بالأب فى عمله لتخبره بسلوكيات هذا الإرهابى الصغير؛ وكأنه خبر عاجل ولسان حالها يقول (فى بيتنا كارثة لا تنتظر حتى عودة الأب من عمله) وتخيل ما هو رد فعل الأب وهو فى عمله، وهو فجأة يرى أو يسمع هذا الخبر العاجل على الهواء مباشرة؟! كيف يركز الوالد إذن فى عمله؟! كيف سيعد نفسه ليقابل هذا الصغير المزعج؟ بل لعله ينشر الخبر بين زملائه ومديره! ولعل الصغير قد توقع هذه الأحداث وفكر فى هذا الكابوس القادم مساءً - أقصد والده - وهذه الفضيحة التى انتشرت؟!.

- استخدام أساليب القسر والضغط والديكتاتورية، مثل الضرب، وفرض الآراء المتعسفة الظالمة!.

- عدم إعطاء مساحة من الحرية فى أى شئ فى الملابس وفى اللعب، وفى غير ذلك.
 - عدم إشباع أهم وأخطر احتياجاته، ولعل أخطرها هنا السماع والحوار والحرية.
 - عدم ستر عيوبه بل إذاعتها وفضحه على الملأ!.
- ما هو رد فعل الطفل الصغير أمام هذه الأساليب الوالدية القسرية الديكتاتورية؟ إنها مجموعة من رسائل التمرد والعناد، ولنحاول معاً قراءة رسائل الطفل الصامتة والغاضبة:
- لا؛ لن ألبس ما تريدون، بل سأقاتل وسأعاند لأفرض عليكم لبس ما أريد ولو أزعجكم ذلك؛ بل حتى ولو لم يعجبني!!!.
 - لِمَ لا تلبسونى ما أحبه أو على الأقل اسألونى؛ وحاورونى، واحترمونى؟!.
 - أيها الوالدان العزيزان: لقد اهتديت أخيراً إلى السلاح الذى أرد به، وأجعل من حولى فى حيرة وفى انزعاج دائم، إنه إحراجكم أمام الغرباء!!!.
 - سأظل أمارس هذه الهواية المزعجة والمحرجة لكم، إنها التطفل على شيبسى وكاتشب الآخرين!
 - سأعلمكم من سيفضح الآخر!.
 - لقد مللت من كل شئ حولى؛ مللت من عدم فهمكم لى، مللت من عدم إشباع احتياجاتى النفسية، مللت من تدخلكم، مللت من قهركم، مللت من كل شئ، مع العلم بأن هذا الملل يعتبر من سمات مرحلتى العمرية!!!.

- كيف أشعركم برسالة هذا الملل؟ إنه ملل اللعب، سأحطم اللعب، لعلكم ترون بأعينكم ما لم تفهمونه من نظراتي وصمتي، ولعلكم تفهمون رسالة مللى!.

وفى النهاية، لنا وقفة مهمة جدًا:

لقد ذكرتم أن ترتيبه الأول! إذن هناك غرباء قدموا على مملكته! أى أنه عاش تجربة وصول إخوته؛ أقصد هؤلاء الدخلاء غير المرغوب فيهم بالنسبة له! فكيف تعاملتم مع هذه التطورات القاسية فى حياة الطفل الصغير؟! ثم ما هى علاقته الآن مع هؤلاء الغرباء؟! وماهى علاقتكم مع الطفل بعد هذه الأحداث الأليمة لمن هم فى مثل سنه ومن هم يحملون صفات تلك المرحلة الغضة؟! أخشى أن تكون سلوكيات الطفل نتيجة لهذه التعاملات، كما أخشى أن تكون رسائله الصامتة الغاضبة من نتاج تلك التعاملات، أقصد التغير فى المعاملة معه بعد وصول هؤلاء الصغار المنافسين له فى منزلته ووضعه ومكانته!

والآن، أترك لكم الإجابة عن التساؤلات التى ذكرناها فى البداية: هل سلوكيات هذا الطفل؛ تعتبر سلوكيات طبيعية لمرحلته العمرية؛ أم هى من المشكلات السلوكية المرضية، وهل الطفل الصغير ظالم أم مظلوم؟

ولنقى أبنائنا عامة من هذه السلوكيات الغاضبة المتمردة، ونتعامل مع سلوكيات الطفل الصغير المقصودة منه والمقلقة لوالديه، لنغيرها ونعالجها علينا مراجعة ما سبق من إرشادات مع التركيز على النقاط التالية:

- محاولة فهم طبيعة مراحل أبنائنا العمرية وفهم سماتها وخصائصها واحتياجاتها النفسية.
- حسن التعامل مع هذه السمات المرحلية.

- محاولة إشباع احتياجات الأبناء النفسية، وأهمها الحب والتقدير والسماع والحوار والأمن والتشجيع.
- محاولة علاج سلوكياتنا وأخطائنا التربوية المتكررة تجاه أولادنا.
- محاولة قراءة رسائل أبنائنا الصامته والتي تترجمها سلوكياتهم تجاهنا وتجاه الآخرين.
- محاولة التنظيف التربوي لأوضاع الواقع المحيط بأبنائنا.
- محاولة التعاون بين كل من يتعامل مع أبنائنا فى المنزل والمدرسة والنادى، بل ووسائل الآلة الإعلامية الجبارة والرهيبة (التلفزيون والفضائيات).

الانطواء والخجل.. كيف نعالجه؟!

تقول إحدى الأمهات:

أودُّ الاستفسار عن حالة ابنى الذى يبلغ من العمر سبع سنوات، فهو هادئ ويخجل كثيراً عندما أخرج به إلى بيت أحد الأقارب، فهو يجلس بقربى، ولا يتحدث مع أحد إلا إذا أنا طلبت منه ذلك، وعندما يسأله أحد عن شئ يرتبِك، وهو كثير الشرود، لكنه ذكى، فهو يحب الكمبيوتر ويجلس ويلعب عليه، وعنده خصلة لا تعجبني وهى قضم الأظافر، وأعترف بأنى أصرخ فى وجهه كثيراً وأنى مسيطرة عليه هو وابنى الأكبر، لكننى أحبه كثيراً وأحنو عليه، وأتضايق كثيراً عندما يضربه أحد فلا يدافع عن نفسه، فأبنى جسمه هزيل، وهو ما يجعلنى دائماً أدافع عنه، ويكره تناول الأكل فى البيت، ويحب الأكل الجاهز فى المطعم، وهو الآن فى المدرسة، ولا يحفظ سريعاً، ما رأيكم؟

ولهذه الأم نقول:

اعترفك بأنك تصرخين في أبنائك، وتحتدّين عليهم، وأنت متسلطة معهم يفسّر كل سلوكيات ابنك غير المرغوب فيها من انطواء، وخجل، وقضم للأظافر، بل وأيضاً ضعف بنيته، ورفضه للطعام، وهذه المصارحة تيسّر الحل، وحتى يتخلّص ابنك من هذه السلبيات، عليك دوران أساسيان، أولهما: مع نفسك، وهذا هو الشق الأصعب، وثانيهما: مع ابنك.

أما الدور الأول مع نفسك:

- فهمت أنك "عصبية" في تعاملك مع أولادك، ولكن عليك ألا يدفع أبنائك ثمن هذه العصبية، فحاولي قدر استطاعتك ألا يؤثر ذلك على علاقتك بأولادك، أعلم تماماً أن الأمر غاية في الصعوبة، ولكنه ليس مستحيلاً.
- عليك بمعالجة أمر الحدة والعصبية مع أبنائك، بل مع الجميع بصفة عامة.
- أما سيطرتك على أبنائك، فعليك أن تتخيلي عاقبة هذا السلوك عليهم حينما يكبرون، فمنهم من سيصبح ضعيف الشخصية، لا رأى ولا مكانة له، وآخر متسلط يحب السيطرة على الآخرين والتحكم فيهم، وأظنك لا ترغبين في مثل هذه النتيجة على الإطلاق، كما أنك أول من سيعانى من جراء ما زرعت في أولادك، فحاولي مع نفسك مراراً وتكراراً التخلص من هذه الصفة.
- تغيير النفس لا بد وأن يسبقه شعور بالحاجة إلى هذا التغيير، وتذكر قول الله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ"، (سورة الرعد: ١١) فأخلصي النية والعزم على أن تتغيري لأجلك ولأجل أولادك، وإذا لم تشعري بأهمية هذا التغيير لك أولاً، فإن مجهوداتك ومحاولاتك مع أبنائك ستذهب سدى.

وأما دورك مع ابنك:

يمكن تلخيص مشكلات ابنك في:

- الخجل والشرود.
- قضم الأظافر.
- ضعف البنية وعدم رغبته في تناول الطعام.
- لا يحفظ بسرعة.

بدايةً، أحبُّ أن أؤكد أن حلَّ هذا الجزء يتوقف على مدى نجاحك مع نفسك ومحاولتك الجادة في التغيير، ولكن في نفس الوقت يمكنك أن تبدئي في تعديل سلوك أبنائك، مع ملاحظة أن كل هذه السلوكيات مرتبطة بعضها ببعض، بمعنى أنك إذا عالجت سلوكاً فسينسحب هذا العلاج بطريقة تلقائية على بقية السلوكيات الأخرى، وإليك هذه الاقتراحات التي تعينك على تعديل سلوك ابنك:

- لا تُلحّ على ابنك في مصافحة الزائرين أو التحدث معهم، ولكن حاولي بطريقة لطيفة أن تقومي بعملية التعارف بينه وبين الآخرين، كأن تقولي: "أعرفك يا زياد بفلانة وهذا ابني زياد يا فلانة"، أما إذا كان ابنك يعرف هذه الشخصية من قبل، فاكتفي أنت بالبشاشة وحسن الاستقبال دون أن تدفعي ابنك لأن يسلك سلوكاً معيناً تجاه الآخرين، وكوني قدوة له في مثل هذه التصرفات.

- اجعلي الحوار دائماً بينك وبينه -وبين أبنائك جميعاً- مفتوحاً، وكوني مستمعة جيدة له ولآرائه.

- علميه أشياء تجعله أكثر اعتماداً على نفسه، كأن تعلميه بعض مبادئ النجارة أو الطلاء، وعمل بعض الوجبات الخفيفة، كما يجب عدم الإلحاح عليه أو الإكراه لكي يتناول طعامه.

- امتدحى كل إيجابياته الاجتماعية كمساعدته لأحد إخوته، أو اللعب معهم، أو حين يبدأ فى الحديث مع الآخرين.
- حاولى دعوة بعض أصدقائه فى المدرسة إلى منزلكم وقضاء وقت ممتع معاً، أو دعوتهم لتناول الغداء فى أحد المطاعم، أو التنزه بصفة عامة.
- حاولى أن تدرّبيه على الثقة بنفسه، من خلال التحدث عنه أمام الآخرين بفخر وإعزاز، واتركيه يتصرف فى شئونه بطريقته دون أن تملئ عليه ما يجب أن يفعل، وافعل ذلك مع أبنائك كلهم لتحقيقى مبدأ العدل والمساواة بينهم.
- لا تتدخلى لتدافعى عنه فى المواقف الخلافية بينه وبين إخوته، بل دعيه يتصرف من تلقاء نفسه، حتى لو تعرّض إلى الضرب، والحالة الوحيدة التى يمكنك التدخل فيها إذا كان هناك خطر ما يتعرّض لسه أحد المتشاجرين.
- شجّعيه على ممارسة أى نوع من أنواع الرياضة، فهذا يمنحه لياقة بدنية، فيزداد ثقة بنفسه.
- شجّعيه على اللعب مع بعض أقاربه أو جيرانه أو زملائه بالمدرسة الأصغر سناً (أصغر بسنة أو سنتين فقط بحد أقصى)، حتى يتعلم القيادة لا التبعية.
- حاولى أن تملئى مع أولادك لعبة الضيوف، كلُّ له دور، ومن خلال هذه اللعبة يمكنك أن تعلّمي ابنك كيف يحسن التصرف سواء كان ضيفاً أو مضيفاً.
- وكما أنصح الآباء دائماً بإيجاد علاقة طيبة ملؤها الحب والتفاهم والمرح مع أبنائهم، أنصحك بنفس النصيحة، فهذه العلاقة هى إكسير الحياة الأسرية كما يقولون.

- وأما بالنسبة لمسألة الحفظ، فربما السبب فيها ضعف بنيته، والتي تحدثنا عن كيفية علاجها من خلال النقاط السابقة، أو لأن قدرته على الحفظ أقل من قدراته الأخرى، ولكي ننمّي مسألة الحفظ عند الأطفال يمكنك:
- أن تلعبوا لعبة تكرار الأرقام، حيث يكرّر أحد أبنائك وراءك عدداً مكوناً من رقمين بنفس الترتيب، ثم تقومين بزيادة الأرقام إلى ثلاثة، ثم إلى أربعة، وهكذا....، ويتناوب الأبناء في تكرار الأعداد وراءك.
- أن تعرضي على ابنك بعض الصور أو الرسومات، ثم تخفيها عنه؛ لينتذكر محتويات الصورة بأدق تفاصيلها.
- وهناك لعبة "ذهبت إلى السوق فاشتريت..."، وهي لعبة لطيفة يمكن أن يشترك فيها كل أبنائك، وفيها يبدأ أول لاعب فيقول ذهبت إلى السوق واشتريت لحمًا مثلاً، ثم يكرر كل لاعب بعد ذلك ما اشتراه كل اللاعبين قبله بالترتيب، مع زيادة ما اشتراه هو، وهكذا....، ومن ينسى أيّاً من المشتريات أو ينسى ترتيبها يخرج من اللعبة، وهناك ألعاب كثيرة لتنشيط الذاكرة يمكنك ابتكارها، بل يمكنك الاستعانة بأبنائك في ابتكارها.
- عليك أن تعوّدي ابنك حفظ القرآن الكريم، ولكن بطريقة غير منفردة.